عادة الرد الوقح لدى الأطفال

4 خطوات للتخلّص من سلوك طفلك الفظ

د. أودري ريكر
د. كارولين كراودر





المركز الرئيسي (المملكة العربية السعودية)		
ص. ب ٣١٩٦	تليفون	+٩٦٦ ١ ٤٦٢٦٠٠٠
الرياض ١١٤٧١	فاكس	+٩٦٦ ١ ٤٦٥٦٣٦٣
المعارض: الرياض (المملكة العربية السعودية)		
شارع العليا	تليفون	+٩٦٦ ١ ٤٦٢٦٠٠٠
شارع الأحساء	تليفون	+٩٦٦ ١ ٤٧٧٣١٤٠
شارع الامير عبدالله	تليفون	+٩٦٦ ١ ٢٦٤٥٨٠٢
شارع عقبة بن نافع	تليفون	+٩٦٦ ١ ٢٧٨٨٤١١
الدائري الشمالي (مخرج ٥/٦)	تليفون	+٩٦٦ ١ ٢٧٥٤٧١٠
القصيم (المملكة العربية السعودية)		
شارع عثمان بن عفان	تليفون	+٩٦٦ ٦ ٣٨١٠٠٢٦
الخبر (المملكة العربية السعودية)		
شارع الكورنيش	تليفون	+٩٦٦ ٣ ٨٩٤٣٣١١
مجمع الراشد	تليفون	+٩٦٦ ٣ ٨٩٨٢٤٩١
الدمام (المملكة العربية السعودية)		
الشارع الأول	تليفون	+٩٦٦ ٣ ٨٠٩٠٤٤١
الاحساء (المملكة العربية السعودية)		
المبرز طريق الظهران	تليفون	+٩٦٦ ٣ ٥٣١١٥٠١
جدة (المملكة العربية السعودية)		
شارع صاري	تليفون	+٩٦٦ ٢ ٦٨٢٧٦٦٦
شارع فلسطين	تليفون	+٩٦٦ ٢ ٦٧٣٢٧٢٧
شارع التحلية	تليفون	+٩٦٦ ٢ ٦٧١١١٦٧
شارع الأمير سلطان	تليفون	+٩٦٦ ٢ ٢٣٨٢٠٥٥
مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)		
أسواق الحجاز	تليفون	+٩٦٦ ٢ ٥٦٠٦١١٦
الدوحة (دولة قطر)		
طريق سلوى – تقاطع رمادا	تليفون	+٩٧٤ ٤٤٤٠٢١٢
أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة)		
مركز الميناء	تليفون	+٩٧١ ٢ ٦٧٣٣٩٩٩
الكويت (دولة الكويت)		
الحولي – شارع تونس	تليفون	+٩٦٥ ٢٦١٠١١١

موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلاتنا على :

jbpublications@jarirbookstore.com

إعادة طبع الطبعة الأولى ٢٠٠٥

عادة الرد الوقح لدى الأطفال

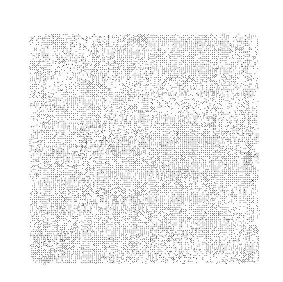


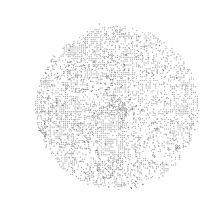
BACKTALK

FOUR STEPS TO ENDING RUDE BEHAVIOR IN YOUR KIDS



Audrey Ricker, Ph.D.,
and Carolyn Crowder, Ph.D.











المحتويات

المقدمة

قد تقتنى هذا الكتاب ؛ لأنك تواجه متاعب فى التربية تتمثل فى الرد الوقح لأطفالك وربما تكون قد تلقيت النصيحة بألا تعير الأمر اهتماماً ؛ لأن الرد غير الملائم من الأبناء بكل بساطة هو الطريقة التى يعبرون بها عن أنفسهم هذه الأيام .

ولكن نصيحتنا لك أنه ينبغى عليك فعل شىء ما تجاه هذا السلوك ، فأطفالك بحاجة لذلك ، وستجد نفسك بالاعتماد على هذا الكتاب كمرشد لك ، أنك تتعلم أسلوباً من الاستجابة يمكّنك من التعامل مع الرد غير الملائم لأطفالك مباشرة فى أية لحظة يحدث فيها وعندما يُسمح للأطفال بالتمادى فى هذا السلوك ، فإنهم لا يتعلمون احترام الآخرين .

وقد رغبت الدكتورة " ريكر " فى تأليف هذا الكتاب ؛ لأنها رأت أن الرد الوقح من طلابها قد خرج على السيطرة تماماً سواء كان هؤلاء الطلاب فى المدرسة الابتدائية ، أو فى الجامعة . كما كان عليها كأم أن تتعامل مع الرد غير الملائم لأبنائها ؛ وهى ترى أن العقاب الحازم يقضى على مشكلة الرد الوقح ويساعد الطفل على التخلص منها .

ولطالما تمنت الدكتورة " كرودر " وهى تعمل كأستاذ لعلم النفس ، وتقوم بتدريب الآباء ، أن تقدم إطار عمل نظرياً وسلوكياً للتعامل مع هذه المشكلة . فهى تلاحظ فى فصول التربية التى تقوم بالمحاضرة فيها

أن كل الآباء تقريباً مضطربون ويشعرون باليأس بشأن التعامل مع رد أطفالهم غير الملائم .

ويهدف هذا الكتاب إلى القضاء على الرد غير الملائم ، وسوف يجد الآباء والمعلمون والمقربون الذين يتعاملون مع الأطفال أن هذا الكتاب يقدم طريقة واضحة ، وبسيطة للتعامل مع هذه المشكلة ، ويتمثل التعامل مع المشكلة في برنامج مكون من أربع خطوات ويمكن لأى شخص استخدامه وممارسته دائماً .

وإليكم مشهداً يوضح مدى الأثر السيئ المفاجىء الذى يحدثه الرد غير الملائم عندما يحدث لأول مرة بصورة غير متوقعة :

قصة الحالة الأولى : كانت عائلة " جونز " تجلس فى حجرة المعيشة وبعضهم يشاهد التلفاز ، وبعضهم يقرأ ، بينما كانت " مارى جونز " تقوم بقلى البرجر لإعداد وجبة العشاء . وتتكون العائلة من الوالدين " مارى ، وجون جونز " وهما طبيبان ، وتوأمين يبلغان من العمر أحد عشر عاماً وهما لاعبا كرة قدم ، وكان " جو " الشقيق الثالث الذى يبلغ من العمر ستة عشر عاماً طالباً مجتهداً وبطلاً فى سباقات المضمار . وكان الوئام الذى يكتنف عائلة " جونز " موضع غبطة جميع أصدقائهم .

وفى تلك الليلة المشهودة ، دخلت السيدة " جونز " لتسأل كل فرد عن الطريقة التى يرغبها فى طهي البرجر الخاص به سواء طهيه بشكل متوسط أو طهيه جيدا ؟

فقال أحد التوأمين : " متوسط "

وقال الآخر : " وأنا كذلك "

وقال " جو " : " متوسط .. جيد "

فأعادت " مارى " سؤاله قائلة : " " جو " ـ ماذا عنك ؟ "

ولم تسمع سوى الصمت ، فلم يكلف " جو " نفسه حتى أن يلتفت وينظر إليها .

وكررت الأم السؤال بأسلوب بهيج قائلة : " " جو " ـ كيف تريد البرجر الخاص بك ؟ "

فأجاب " جو " بصوت يدل على الضيق : " إنني أشاهد هذا العرض التليفزيونى . ألا ترين ذلك ؟ يا لله ! " ثم أعاد انتباهه إلى التلفاز متجاهلاً أمه تماماً .

لقد اتسم رد " جو " على أمه بالصفات التالية : بذاءة مفاجئة ، ونبرة صوت مقززة ، والضغط على مقاطع الكلام لتوضيح الضيق ، وكذلك التحكم العنيف فى طبيعة المحادثة . وبمعنى آخر ، فإن " جو " قد بدأ الهجوم بالرد الوقح دون أن يثيره أحد . وكان متحكما فى طبيعة الهجوم ، وقد أنهاه عندما قرر ذلك . ولم تدر " مارى " ماذا أصابه !

وفى هذه المرحلة ، فإن الآباء مثل " مارى " و " جون " عادة ما يرون طريقتين فقط للتعامل مع هذا الموقف ، وهما إما أن يتجاهلوا الهجوم ، أو يصعّدوا الموقف ، ولكن كلتا الطريقتين لا تساعد على حل المشكلة . وعندما لا يتم فعل شيء بنّاء ، فإن الوالدين سيتساءلان عن الخطأ الذى وقعا فيه ، ويتأثر التوأمان بالسلوك الفظ لأخيهما الأكبر .

إلا أنه توجد طريقة أخرى للتعامل مع الموقف ، فبمقدور الآباء فى هذا المثال اتخاذ الخطوات التى سنوضحها فى هذا الكتاب لردع مثل هذا الرد الوقح ومنع إمكانية حدوثه مستقبلاً ؛ لأن هذا الكتاب يهدف إلى الاستعداد للتعامل مع الرد الوقح قبل حدوثه . وإذا كنت تواجهه بالفعل فى حياتك المنزلية فإنه لا يزال أمامك متسع من الوقت للتغلب عليه بنجاحٍ . والحقيقة التى لا شك فيها أن السلوك الفظ يحتاج تدخلاً أبوياً ، وأن السماح بالتمادى فى الرد الوقح له أثر سيئ على طفلك .

قد يحطم الرد الوقح فرص أى شخص فى أن يحيا حياة سعيدة مثمرة ؛ لأن الطفل الذى يتمادى فى هذا السلوك بالمنزل سيكون له

نفس السلوك خارج المنزل مما يفقده احترام الأصدقاء ، وآباء الأصدقاء ، والمعلمين ، وفيما بعد رؤسائه فى العمل . وفى المنزل قد يكون منبوذاً من والديه اللذين لا يعرفان أية طريقة أخرى للتعامل معه . حتى إنه من الممكن أن يكون منبوذاً من الكبار الذين ليس لديهم فكرة عن كيفية التعامل مع هذا السلوك . ومن الممكن أن يشتهر فى المدرسة بأنه طفل صعب المراس يتجنبه الكبار ، والأطفال على حد سواء . وبعد ذلك فى العمل ، من الممكن أن يؤدى رده الوقح إلى حرمانه من الترقى فى العمل .

ليس الآباء وحدهم فى المنزل الذين يتأثرون بالرد الوقح ، فالإخوة والأخوات الأصغر سناً أو الأقل سيطرة ، يكونون عرضة لذلك فسرعان ما يتعلمون الرد بهذه الطريقة ويصبح الرد الوقح هو أسلوب التواصل فى المنزل . فإذا ما سُمح باستمرار الرد الوقح بلا كبح ، فإن جو العائلة سيصبح عدائياً ، ومضطرباً ، ومحبطاً للعائلة كلها ، كما أنه من الممكن أن يتسبب وجود عدد قليل من الطلبة الوقحين فى الفصل فى إعاقة مقدرة أى معلم على التدريس .

ويستطيع الآباء التمييز بين الكلام الوقح ، والرفض بطريقة محترمة ، فالعائلات المتشددة ترى كل رفض من الأطفال على أنه رد وقح . والعائلات المتساهلة تتقبل السباب اللفظى على أنه حق مشروع للتواصل . ولابد من التأكيد على أن التواصل الجيد شىء محترم ، بينما الرد الوقح ليس محترماً على الإطلاق . والرد الوقح لا يتمثل فقط فى الكلمات التى تنم عن عدم الاحترام ، بل يشمل أيضاً أية نبرة صوتية غير مهذبة ، وكذلك أى لغة جسدية غير مهذبة . وإذا ظهرت أى من هذه الإشارات مع الرد الوقح ، أو جميعها ، فينبغى على الآباء التعامل معها .

ما يحققه هذا الكتاب

سوف يساعد هذا الكتاب الآباء على تعلم كيفية الاستمتاع بجو منزلى خالٍ من الرد الوقح . فمن الطبيعى أن نشعر بالاستياء والغضب ، والإحباط نتيجة الرد الوقح للأطفال . ولكن هذا الكتاب يقدم طريقة بناءة للتعامل مع هذه المشاعر . وعلى عكس الكتب الأخرى فى تربية الطفل التى تشجعك على النظر إلى الرد الوقح على أنه تواصل صحى ، فإن هذا الكتاب يتعامل مع الرد الوقح على حقيقته - سلوك غير مهذب - ويعلّم الآباء كيفية التعامل مع الرد الوقح عند حدوثه . وهذا عرض موجز يتناول فصول الكتاب :

فى الجزء الأول الذى يحمل عنوان " ما ، ولماذا ، ومتى ، وكيف " نوضح تعريف الرد الوقح ، وسبب تفشيه ، والوقت الذى يجيز فيه خبراء تربية الطفل الكلام الوقح ، ومدى تأثير الرد الوقح على العائلات ، والمدارس ، وكذلك على الأطفال الذين يتلفظون به ، كما يوضح الجزء الأول ما يمكنك فعله إزاء الرد الوقح وسبب ضرورة فعل شىء ما تجاهه ، والوقت الذى ينبغى عليك فيه أن تفعله ، وطريقة القيام بذلك .

فى الفصل الأول الذى يحمل عنوان " حوار صريح بشأن الرد الوقح " نناقش السعادة التى يتمتع بها البيت الذى يخلو من الرد الوقح ، وطبيعة الرد الوقح ، وأسباب لجوء الأبناء إليه ، وكل ذلك بأسلوب سهل بسيط . ويوضح لك هذا الفصل كيفية التعرف على هذه المشكلة ويشرح بإيجاز الأسباب والملابسات فى ثقافتنا - وخاصة الاتجاه السائد والمتزايد لوسائل الإعلان - التى ساعدت على تفشى الرد الوقح خلال السنوات القليلة الماضية . ويشرح الفصل الثانى برنامج التعامل مع الرد الوقح المكون من أربع خطوات بالتفصيل ويعرض كذلك مجموعة متنوعة من الحالات .

وفى الجزء الثانى من الكتاب الذى يحمل عنوان " التدريب " نقدم التعليمات اللازمة لتطبيق خطوات التعامل مع الرد الوقح . كما نناقش فى هذا الجزء ، ونتحقق من مشاكل السلوك التى كثيراً ما يواجهها البالغون فى تطبيق البرنامج المكون من أربع خطوات ، وكذلك نتناول القضايا التى قد تواجهها عندما تطبق الخطوات الأربع على الأطفال من مختلف الأعمار بما فى ذلك مرحلة الجامعة ، ومرحلة المراهقة . وسوف تتعلم كيفية التعامل مع المعلمين ، والقائمين على الرعاية ، والإخصائيين النفسيين ، وأقاربك الذين قد لا يقرون موقفك إزاء الرد الوقح . كما نناقش مشاكل الرد الوقح الفريدة من نوعها التى تواجه الآباء ، وسوف نناقش أيضاً كيفية التعامل مع الرد الوقح لأصدقاء طفلك وما ينبغى عليك فعله إزاء المصادر الخارجية الأخرى التى يستقى منها الأطفال الرد الوقح ، التى من بينها الأفلام والمسلسلات التليفزيونية . كما يتضمن الجزء الثانى أيضاً فصلاً يوضح كيفية تدوين دفتر عمل للرد الوقح ، والحفاظ على ذلك الدفتر حيث تستطيع من خلاله تتبع أثر برنامج الخطوات الأربع ، والاحتفاظ بقائمة للحلول التى تناسبك . وفى النهاية ، فإننا سنرشح لك جماعات دعم لتنضم إليها ، وجماعات أخرى تتجنبها تماماً ، كما سنخبرك بكيفية البدء فى تكوين جماعة دعم خاصة بك .

مقترحات لاستخدام هذا الكتاب

حاول قراءة الكتاب كله فى جلسة واحدة . وإذا لم يكن وقتك يسمح بذلك ، فما عليك إلا أنه تتصفحه سريعاً .

بعد ذلك قم بتدوين الخطوات الأربع لتتذكرها دائماً وهى :

- تعرف
- اختر
- قم بالتنفيذ
- انسحب

قد لا تكون هذه الكلمات مفهومة لك الآن ، ولكن بمجرد أن تفهم برنامج الخطوات الأربع فهما كاملاً ؛ فسوف ترغب فى الاحتفاظ بهذه الإشارات بالقرب منك دائماً .

فى المرة القادمة التى يحدث فيها الرد الوقح ، قم بتطبيق الخطوات الأربع على الفور . قد تستطيع ردع الرد الوقح من أول مرة تطبق فيها تلك الخطوات ، وربما تفقد أعصابك وتستسلم . وفى جميع الأحوال ؛ فإن أصعب شىء فى تطبيق نصائح هذا الكتاب - وهو التصرف على الفور - هو البداية . وسوف تكون على الطريق الصحيح لترسيخ مبدأ التواصل فى منزلك .

ما لا يفعله هذا الكتاب

يفترض كتاب " **عادة الرد الوقح لدى الأطفال** " أن أطفالك مثل أطفال " مارى " و " جون جونز " : أى يتمتعون بمستوى ذكاء طبيعى ، ونشأوا على احترام مشاعر الآخرين ، وينعمون بالسعادة مع أفراد العائلة الذين يجيدون التعامل مع بعضهم لأقصى حد . وهذا الكتاب لا يهدف إلى تعليمك كيفية التعامل مع الأطفال الذين يعانون من الأمراض العصبية ، ولا التعامل مع السلوك العدوانى ، أو إساءة استعمال الأشياء ، أو الاعتداء الجسدى . كما أن هذا الكتاب لن يقوم بتشخيص ، أو اقتراح علاج للأطفال الذين يعانون مشاكل نفسية .

ملاحظة من " أودرى ريكر " تقول : إننى كأم تؤمن بالتقدمية فى بداية الستينيات ، كنت أسمح لابنى بأن يقول ما يريد وقتما يريد . وعندما بلغ سن الرابعة ، تم طرده من أفضل حضانة بالمدينة بسبب رده الوقح على المعلم . والشيء المروع فى كل هذا أنه بدأ فى التصرف بشكل سيئ إلى جانب الرد الوقح ، كأن يقوم بإلقاء أحد المقاعد فى الحجرة أثناء موعد محدد له مع أحد الإخصائيين النفسيين . وأخبرنى الطبيب وقتها أن ابنى فى مرحلة التعبير عن الذات التى سرعان ما تزول ، ولكنه خرج على السيطرة تماماً لدرجة أننى لم أكن على يقين أنه سيعود أبداً إلى ضبط النفس من تلقاء نفسه .

وعلى الرغم من أن الإخصائى النفسى أخبرنى بأننى أخاطر بتدمير نفسية ابنى ، إلا أننى سمحت لزوجى الجديد بأن يقوم بمعاقبته لفظياً عندما كان يرد بوقاحة . وسرعان ما أصبح الصبى سهل المراس ، ليس هذا فقط بل أصبح بمقدوره الالتحاق بحضانة جديدة وتكوين المزيد من الصداقات . وأنا أعتبر أن ردع الرد الوقح لطفلى كان نقطة تحول فى حياته . وأنا على يقين أنه لم يكن ليتخلص من هذا من تلقاء نفسه ، كما كنت على يقين أنه كان سيضع نفسه فى مواقف شائكة مع معلميه ، وعائلته ، وأصدقائه إذا لم يتخلص من الرد الوقح .

الجزء الأول

ما

ولماذا

ومتى

وكيف

١

حوار صريح بشأن الرد الوقح

قصة الحالة الثانية : تدخل " ساندى " التى تبلغ من العمر اثنى عشر عاماً المنزل عائدة من المدرسة فتجد أمها فى حجرة المكتب بالمنزل تتحدث مع إحدى صديقاتها . وتمسك الفتاة بمقبض الباب ، وتندفع داخل الحجرة دون أن تقوم بتحية أى من السيدتين وتقول : " أنا ذاهبة إلى منزل " فرانى " . وبينما تكون على وشك الخروج من الحجرة تقول لها صديقة أمها : " مرحبًا " ساندى " " .

وتتجاهل الفتاة تحية السيدة " آن " وتقول لأمها : " .... وربما أبقى هناك لتناول الغداء " .

وتقول الأم وهى محرجة بعض الشىء من سلوك ابنتها : " احرصى على العودة مبكراً " .

وتغمغم الفتاة قائلة : " أوه ، حسناً " ، وتغادر الحجرة وهى تغلق الباب بعنف .

وتلخص الأم المشهد فى جملة واحدة راغبه بذلك فى حفظ ماء الوجه لها ولـ " ساندى " قائلة : " إنها المراهقة ! " .

ولكن تلك الجملة ليست الحل ، فالفتاة متغطرسة وسيئة السلوك ، والأم تشعر بالحرج على ذلك الاعتذار السخيف الذى قدمته نيابة عن ابنتها ، وتثير خوفها الاتجاهات الحديثة فى التربية التى توحى بأن يأخذ الأبناء الفرصة للتعبير عن أنفسهم بحرية ، ويلزم الآباء بأن يكونوا " آباءً جيدين " . وتشعر صديقتها بالحمق وترغب فى الدفاع عن الأم بقول شىء ما بشأن التقليل من سلطة الفتاة ولكنها تخشى التدخل . وفوق كل هذا ، تشعر السيدتان ببعض الخجل الذى أعجزهما عن التصرف لبعض الوقت ؛ لأنهما سمحتا لرد " ساندى " الوقح بأن يتركهما عاجزتين .

وهذه القصة مثال جيد للرد الوقح ؛ لأنها تظهر أن نبرة الصوت ، ولغة الجسد ، والصمت تعتبر أجزاءً مهمة من الرد غير المناسب مثلها مثل الكلمات تماماً ، والتى كانت فى هذه الحالة مقتصرة على جملتين فقط . فمن الممكن أن يوصف كلام الفتاة على أنه رد وقح لأنه لم يكن لائقا (فلم يتحدث أحد إلى " ساندى " بنبرة صوت سلبية) ، وكذلك كان ردها عدائيا (فقد تجاهلت " ساندى " أمها وصديقتها) ، ولم يكن الرد متعاوناً . وكان سلوك " ساندى " يهدف إلى التحكم فى الحديث بدلاً من البدء فى حوار عما ترغب فى فعله .

كما أن هذا النوع من الرد الوقح غير المتوقع يهدف إلى التحكم فى الحالة النفسية لأفراد المنزل . حيث يكون كل فرد فى العائلة حذرا لتجنب قول أى شىء من شأنه إثارة " ساندى " مرة أخرى .

نظرة للمنزل الخالي من الرد الوقح

السعادة التى تحيط بالمنزل الخالى من الرد الوقح بسيطة ولكن أثرها عميق . لقد تحدث " سادى " و " بيسى ديلانى " فى كتابهما " لتكن لنا كلمتنا " ـ الذى حقق أفضل المبيعات ـ بعد أن وصلا لسن المائة عن المنزل الخالى من الرد الوقح ، فكان على كل أبناء " ديلانى " العشرة أن يتكلموا بطريقة مهذبة مع آبائهم ومع بعضهم بعضا . وكان بإمكانهم التعبير عن أنفسهم بكل وضوح طالما يفعلون ذلك بطريقة مهذبة . ونتيجة لهذا ، فقد كان الجو العائلى فى منزلهم سعيداً ومثمراً . ولم يكن لأى فرد فى المنزل بمن فى ذلك الآباء الحق فى تهديد أى فرد آخر بالحديث .

ويمكن توضيح التعامل بشكل مهذب ، وخال من الرد الوقح من خلال هذه الصورة التخيلية إذا قمنا بإعادة كتابة قصة الحالة الثانية على هذا النحو :

تدخل " ساندى " التى تبلغ اثنى عشر عاماً من العمر المنزل عائدة من المدرسة ، فتجد أمها فى حجرة المكتب بالمنزل تتحدث مع إحدى صديقاتها . وتمسك الفتاة بمقبض الباب وتدخل الحجرة وتقوم بتحية كلتا السيدتين .

" ساندى " : مرحباً يا أمى . مرحباً " آن " .

الأم : مرحباً " ساندى " ، كيف كان يومك ؟

" ساندى " : لقد كان رائعاً . هل توافقين أن أذهب إلى منزل " فرانى " ؟

الأم : نعم ، لا بأس .

" آن " : كيف تسير الأمور معك فى مادة الجبر ؟ ألا يزال لديك مشاكل فيها ؟

وتتناقش ثلاثتهم حول المدرس الخصوصي الجديد لـ " ساندى " لعدة دقائق .

" **ساندى** " : حسناً ، يجدر بي أن أذهب ، فقد أخبرت " فرانى " بأننى إما أن أتصل بها ، أو أذهب إليها قبل الرابعة والنصف . وبالمناسبة ، فقد أبقى هناك حتى موعد الغداء إذا كان هذا مناسباً .
الأم : أنا آسفة ياعزيزتى ، ولكن جدتك ستحضر الساعة الثامنة وأنت تعلمين كم أكره القيادة إلى المطار بمفردى .
" **ساندى** " : (متنهدة) حسناً . هل من الممكن أن تصطحبينى من منزل " فرانى " ؟
الأم : بكل تأكيد . فلتنتظرينى فى حوالى السادسة والنصف .
" **ساندى** " : إذن تناولوا طعامهم مبكراً .....
الأم : حسنا ، انضمى إليهم كما تشاءين ، ولكن لا تتعجلى الغداء .
" **ساندى** " : كلا ، ولكنهم عادة ما يتناولون طعامهم حوالى الخامسة والنصف .
الأم : إذا لم يفعلوا ذلك ، فإننا سنتناول وجبة " وايت كاسيل " (وتقول لصديقتها) : الوجبة المفضلة لـ " ساندى " هى " وايت كاسيل" .
" **آن** " : (تدور بعينيها ، وتبتسم) . لقد كانت أكلتى المفضلة وأنا فى مثل سنها !
" **ساندى** " : أنا ذاهبة ، إلى اللقاء يا أمى ، إلى اللقاء يا " آن " .

وإذا كان هذا المشهد يبدو مثاليا إلى حد غير معقول وغير واقعى ؛ فلتطمئن بالاً فهو ليس كذلك ؛ فهو يوضح الطريقة المهذبة التى يتبعها

أفراد العائلة فى التعامل ، والتفاوض فى مواقف يفوز فيها كلا الطرفين .

لماذا تصرفت " ساندى " بوقاحة فى المثال الأول إذن ؟ السبب هو أن هدفها كان فى الغالب أن توضح لصديقة أمها من الذى يتولى زمام الأمور فى المنزل ، ولتوضح لأمها أنها لن تحتمل أية مناقشة بشأن أسلوب حياتها ، ولتوضح لكلتيهما أنها تفعل ما يحلو لها .

ونحن فى هذا الكتاب نفترض أنك - كوالد فخور - مهتم بأبنائك للغاية ، وأنك لست متعسفاً وترغب رغبة صادقة فى منزل يسوده السلوك المهذب من كل أفراده حيث يكون هذا هو المبدأ . ونحن نفترض أيضاً أن الرد الوقح لا يمكن تبريره أبداً .

نحن نؤمن بأن السماح للطفل بالتمادى فى هذا السلوك يسبب أذى للطفل نفسه ؛ لأنه يحرمه من تعلم طرق أكثر فاعلية للتعامل مع المجتمع والتى تمكنه من أن يحيا حياة أكثر سعادة ونفعاً .

أسباب الرد الوقح

السبب الذى يجعل كل طفل يحاول الرد بطريقة وقحة هو سبب طبيعى : فالطفل يتطلع إلى الطرق التى تجعله ذا أهمية ، وكثيرًا ما سيحاول أن يجد له مكاناً فى المنزل من خلال سلوك البحث عن القوة ، وجذب الانتباه .

ويوجد سبب آخر للرد الوقح وهو أن الآباء فى بعض الأحيان يقومون بتعليم الرد الوقح لأطفالهم بالقدوة السيئة من خلال التحدث بشكل وقح إلى الزوجة ، أو أفراد العائلة ، أو الأصدقاء ، وكذلك باستخدام الملاحظات اللاذعة ، والتهكم فى محاولة منهم للسيطرة على سلوك أطفالهم .

ويعتبر الاتجاه السائد لوسائل الإعلام ، والتلفاز ، والأفلام السينمائية ، وألعاب الفيديو ، والموسيقى الشعبية من بين أسباب تفشى الرد الوقح . وسوف يتم مناقشة الموضوع بالتفصيل فى الفصل العاشر . أما الآن ، فيجب أن يفهم الآباء أن وسائل الإعلام المنتشرة لا تشجع فقط على الرد الوقح بل تكافئه أيضاً من خلال الضحك على الشخصيات الأخرى واعتبار الممثل الذى يستخدم الرد الوقح نجماً لامعاً . وعلى الرغم من أن الشخصيات الشريرة قد تقوم بتبرير هذا ، إلا أن الرسالة المفهومة من هذه الحلقات أن الطفل يحصل على الاهتمام الشديد ، وتجعل الأشخاص البالغين تحت سيطرة الطفل وأنه تقريباً لن يعاقب أبداً على الأقل إن كان الآباء من النوعية التى يجذبهم هذا النوع من الحلقات .

وهناك سبب آخر لتفشى الرد الوقح وهو تأثير الخبراء ، والمعلمين التقدميين فى مجال تربية الطفل . وقد بدأت هذا الحركة بواسطة الدكتورة " سبوك " فى أواخر الخمسينيات من القرن الماضى ، وبلغت ذروتها فى الستينيات التى تجلت خلال التعليم التقدمى فى المدارس العامة . وبحلول السبعينيات ، أصبح شائعاً أن الأطفال لا يخطئون فى المدرسة ؛ فكل شيء سيىء بدءاً من السلوك السيىء وانتهاءً بالدرجات السيئة كان يعتبر نتيجة للتعليم السيئ ، وعجز المعلمين عن التعامل مع الطلاب .

كما تمثل الحركة التقدمية لتربية الأطفال سبباً آخر لانتشار الرد الوقح من خلال قوة ثقافة النظير ؛ فمنذ سنوات بدأ الأطفال استخدام أصدقائهم ـ بدلاً من البالغين ـ كنماذج يقتدون بها تشجعهم على الحرية فى قول ، وفعل ما يحلو لهم .

وليست جميع هذه التطورات سيئة لقد كان التعليم أكثر مللاً وقمعاً قبل ظهور التقدميين ، وكان العديد من خبراء تربية الطفل قبل د . " سبوك " يؤيدون قوانين قاسية ـ إن لم تكن سادية ـ مثل إحلال

الرضاعة الصناعية بدلاً من الرضاعة الطبيعية ، وتجاهل بكاء الأطفال الرضع . ولكن المعتقدات التقدمية تتجمع الآن لتأييد وتبرير الرد الوقح والتشجيع عليه بصورة غير مسبوقة .

ولكن هل يؤدى حظر الرد الوقح أو كبح " لسان الصبى الذى يتحدث به " إلى الإضرار بالطفل ؟ يجيب أحد الأشخاص الناجحين بالنفى ، فالمذيعة المشهورة " أوبرا وينفرى " لم يكن مسموحاً لها بأن تنادى أباها بقول " بوب " عندما كانت فتاة متمردة تبلغ من العمر أربعة عشر عاماً ، وكانت قد انتقلت لتوها لتعيش معه . وهى تقر بأن هذا القانون المنزلى وغيره لم يؤذها . وتضيف أنها وصلت لما وصلت إليه الآن بفضل والدها .

لن يتسبب حظر الرد الوقح فى إلحاق الأذى ، إذا ما تم ذلك بطريقة مناسبة ، وباحترام وبدون التركيز الشديد على الشخص الذى قام به . وسوف تقوم الطرق الموضحة فى هذا الكتاب بتحقيق هذه الأهداف ، كما ستقوم فى الوقت ذاته بتعليم الاحترام ، والتفاعل الاجتماعى . ومن بين الفوائد الأخرى لهذا الكتاب تحقيق الوضوح ، والتواصل الجيد بين أفراد العائلة .



٢

برنامج الخطوات الأربع للتعامل مع الرد الوقح

لقد قمنا بابتكار الخطوات البسيطة التالية للتعامل مع الرد الوقح :

الخطوة الأولى : هى أن " تتعرف " على الرد الوقح . وأفضل اختبارٍ لمعرفته هو : إذا ما آلمتك ، أو أربكتك ، أو سببت لك ضيقاً أو شعوراً بالعجز ، فجميع هذه الأشياء تمثل رداً وقحاً .

الخطوة الثانية : هى أن تقومٍ " باختيار " العقاب المناسب للسلوك . ويجدر بك أن تفعل هذا فوراً ، ففى حالة " ساندى " الفتاة البالغة من العمر اثني عشر عاما فى القصة الثانية ، فإن العقاب الجيد لسلوكها كان عدم السماح لها بالذهاب إلى منزل صديقتها ، فأى رد وقح أو سلوك سيئ يعنى تلقائياً أن الطفلة لن تفعل ما تريد فعله ، أو ما خططت لفعله ـ مثل الذهاب إلى تدريب كرة القدم ، أو حضور درس فى الرقص .

الخطوة الثالثة : هى " تطبيق " العقاب ، فيجب على الأم أن تخبر " ساندى " بأنها لن تذهب إلى منزل صديقتها . وينبغى أن تقول لها بصوت هادئ أن سلوكها قد وصل إلى حد الرد الوقح ، مما يستنفد وقت الأم ، وطاقتها من خلال مجهوداتها للتعامل معه ، وأنه أمر غير مقبول ، وأن " ساندى " لن تذهب إلى منزل " فرانى " فى هذا اليوم . وإذا كان رد فعل " ساندى " تجاه هذا التصريح سيئاً وهو أمر لا شك فيه ، فعندئذ ينبغى على الأم أن تتقدم لتطبيق الخطوة الرابعة .

الخطوة الرابعة : والخطوة الرابعة هى أن " **تنسحب** " من الجدال مع من يقوم بالرد الوقح ؛ فينبغى على الأم مبدئياً أن تتجاهل السلوك السيئ وتستمر فى الحديث مع صديقتها . وإذا ما استمر السلوك السيئ للطفلة ، فينبغى على الأم أن تستأذن بهدوء من صديقتها الزائرة ، وتأخذ بالفتاة الثائرة مرتفعة الصوت إلى حجرتها ، وتتركها بمفردها ، وبذلك تنسحب الأم من الجدل المرهق مع ابنتها الراغبة فى تغيير رأى الأم .

وقد تبدو هذه الخطوات الأربع سهلة التنفيذ ، وسوف تكون كذلك بالفعل لبعض الآباء . ولكن بالنسبة للأب الذى يفرط فى تدليل أبنائه ، سوف تمثل تحدياً ، وتتطلب الكثير من التصميم والتدريب وضبط النفس . وتوجد صعوبة أخرى وهى أن الآباء المعاصرين يرغبون فى أن يكونوا أصدقاء جيدين لأبنائهم بدلاً من أن يكونوا معلمين ، وقادة ، ومرشدين . لكن أمامهم أوقات عصيبة طويلة ليدركوا أن أطفالهم قد لا يتصرفون كأصدقاء جيدين ، بل سيحاولون من حين لآخر كأشخاص صغار فى السن تجريب أنواع من السلوك غير المقبول .

وبالفعل ، تستطيع أن تنفذ هذه الخطوات الأربع ، بل يجدر بك تنفيذها على الفور إذا ما بدأ طفلك فى الرد الوقح . إنه لمن السهل كثيراً وضع التغيير موضع التنفيذ إذا ما فهمت التبريرات ، والأساليب

فهماً جيداً . وإليك توضيحاً دقيقاً لكل خطوة من الخطوات الأربع كلٍ على حدة :

الخطوة الأولى : التعرف على الرد الوقح

إن الهدف وراء التعرف على الرد الوقح أكبر من مجرد تعريفه ، فالمقصود من التعرف على الرد الوقح الاعتراف به على أنه نوع من التواصل الذى لا تحبذه . وقد لا يتكون هذا النوع من التواصل من كلمات (كالدوران بمقلتى العينين بتنهد) ، وقد يتكون من كلمات قليلة (كما فى حالة " ساندى " عندما قالت " أوه ، حسناً " ، أو التلفظ بالكلمة الأكثر شيوعاً " أياً كان ") ، وقد يتكون من تشنيع لاذع يزداد حدة باطراد .

وأصعب جزء فى الخطوة الأولى هو أن تتقبل تقييمك لتعبيرات الطفل . فقد تشعر بالحنق عند سماع الرد الوقح ، بل إنه من الممكن أن تتأذى إلى حد يعجزك عن الكلام وبعد ذلك تشعر بالغباء لشعورك بالغضب من نفسك عندما يقول طفلك إنه لم يكن يقصد بالرد الوقح الإيذاء . قد يقول مثلاً : " إننى لم أقصد أى شىء " ويتلفظ بهذا الكلام مع نظرة بريئة تظهر فجأة فى عينيه ، ويضيف : " إنك فقط تبالغين فى رد الفعل يا أمى " وفى هذه الحالة يقوم بعض الآباء نتيجة شعورهم الطاغى بالذنب بإنهاء الموقف بمعانقة الطفل ، والاعتذار عن رد الفعل المبالغ فيه . ثم يقومون بقطع الوعد على أنفسهم بأنهم لن يبالغوا فى رد فعلهم مرة أخرى أبداً .

قصة الحالة الثالثة : عندما كانت " أماندا " صغيرة ، كانت أمها تقضى معظم الوقت خارج المنزل ؛ لأن الأم كانت تعمل بوظيفتين لتساعد فى إعالة العائلة بعد أن تم تسريح الوالد من وظيفته . ولذا ،

فقد كانت " أماندا " بعد أن تزوجت تحرص على أن تظل برفقة بناتها لأطول فترة ممكنة يرغبن فى بقائها معهن .

وعندما بدأت بناتها فى إخبارها عما لا يعجبهن بها ، كانت " أماندا " تتأثر . وكانت تقول : " إنهن يطلبن منى ألا أمضغ الطعام وفمى مفتوح " . أليس هذا رائعاً ؟ يخبرننى فوراً عندما أقول شيئاً يعتقدن أنه " غبى جداً " . وما كان يبدو أنه اهتمام بـ " أماندا " التى كانت قد طُلقت فى ذلك الوقت ، تصاعد فى النهاية إلى أن أصبحت أية كلمة تتلفظ بها أى من الفتيات إهانة جارحة . وأصبح كل ما تفعله لا يرضى الفتيات . وتصاعدت سيطرة الفتيات على " أماندا " إلى درجة غير محتملة لدرجة أن صديقاتها قررن فى النهاية التخطيط لنوع من التدخل يخبرنها من خلاله أنهن لا يشعرن بالسعادة عندما يقمن بزيارتها بينما بناتها بالمنزل . وبعدها فقط أدركت " أماندا " أن ما كانت تعتبره نصيحة حسنة النية من بناتها لم يعد سوى رد وقح يتسبب فى إيذائها كثيراً .

ولم يكن الحل الذى قامت به هو مواجهتهن بل شجعتهن على الانتقال للإقامة مع أقارب آخرين ؛ لأنه لم يعد بمقدورها التعامل معهن . وقد أفاد هذا الحل " أماندا " التى بدأت فى استقبال الصديقات ، والاستمتاع بوقتها كثيراً . ولكن الآن وبعد مرور عدة سنوات ، لاتزال الفتيات يسرن على غير هدى ، ويتخبطن فى علاقاتهن ، وعاجزات عن الحصول على وظيفة ، أو شهادة دراسية .

وتظهر القصة كيفية اعتبار الآباء الرد الوقح نصيحة حسنة النية ؛ لأنهم لا يرغبون فى النظر إليه على حقيقته .

وهذه بعض من الأمثلة الأخرى الشائعة للرد الوقح الذى نادراً ما يتم التعرف عليه فى البداية . وقد قمنا بسردها فى فئات عمرية :

الأطفال حتى سن الثالثة : (نعم ، فالرد الوقح يبدأ فى تلك المرحلة المبكرة !) وأمثلته : " يا لك من أم سيئة ! " و " إننى لا أحبك " و" كلا " .

الأطفال من سن الرابعة وحتى السادسة : وأمثلته " أنا أكرهك " ، " اخرس ! " ، " هذا ملكى ، لا تلمسه ! " و " لا تستطيع أن تجبرنى " . وطبقا لما يقول بعض الآباء فقد أصبحت عبارة " كما لو " أكثر شعبية هذه الأيام .

الأطفال من سن السادسة وحتى الثامنة : وأمثلته : " يا لك من أحمق ! " أو " لن أفعل ذلك ! "

الأطفال من سن الثامنة وحتى الحادية عشرة : وأمثلته : " تباً ، دعنى أسترح ! " و " يا له من شيء مقزز ! " بالإضافة إلى عبارة : " الكثير من الأطفال يفعلون ذلك ! "

الأطفال من سن الثانية عشرة ، وحتى الرابعة عشرة : وأمثلته : " أبى ، إنك تجهل أى شيء عن الموسيقى تماماً أو (ألعاب الفيديو ، أو الملابس ، أو أى شيء آخر يهم الطفل) " و " يجب أن تصحبنى إلى المركز التجارى " أو (الأمر بفعل أى شيء آخر من متطلبات الطفل) ، وعبارة : " أتسمى ذلك طعاماً ؟ "

من سن الخامسة عشرة وحتى السابعة عشرة : وأمثلته : " إنك بحاجة للمساعدة يا أبى " و " لا تزعجنى ! "

من سن السابعة عشرة وما فوق : وأمثلته : " إننى متوتر (متعب أو مرهق أو مجهد ... إلخ) " و " حسناً " .

وتتسم الفئات العمرية السابقة بالمرونة . فكلما كان الطفل أكثر إدراكاً من فئته العمرية ، فإنه يستخدم رداً وقحاً أشد وطأة . وكلما

قلت الحصيلة اللغوية لدى الطفل ، بقى عالقاً فى مراحل الرد الوقح من قبيل : " يا لك من أحمق " أو " لا تستطيع أن تجبرنى " .

ونحن نعلم أنه شىء محفوف بالمخاطر أن نقترح أن " ذوى العامين المزعجين " يجب أن يوضع لهم حدود بأية طريقة . ويعتقد بعض خبراء تربية الأطفال أنه قد يُتوقع الرد الوقح من الأطفال ذوى العامين كجزء من نموهم الطبيعى . ونحن نؤمن بأن الأطفال فى هذه المرحلة العمرية بمقدورهم أن يتعلموا وينبغى تعليمهم ما يمكنهم استخدامه من الكلام وما لا يمكنهم استخدامه . وسوف نتناول المراحل العمرية المرتبطة بالرد الوقح فيما بعد .

وليس المهم هو محتوى هذا الرسائل ، ولكن المهم هو نبرة الصوت والتصرف نفسه . فهذه الرسائل وما شابهها تكون مثل السهم المسموم وتهدف إلى شل حركة الهدف على الفور . ويشعر مستمع هذه التعليقات بالمهانة ، أو الغضب ، أو هول الصاعقة أو بالذنب ، أو كل هذه المشاعر فى نفس الوقت ، فلا يستطيع الوالد أن يدرك ما عليه فعله ، ومن ثم فلا يستطيع فعل شىء أو استخدام نفس الأساليب للرد على الطفل .

ويسعد الكثير ممن يتلقون الرد الوقح كثيراً عندما يتركهم ذوو الردود غير الملائمة ولو مؤقتاً مما يجعلهم يتصرفون بصورة جيدة وليس بغضب ، ولا يتحدثون عن هذه الواقعة مرة أخرى . أما هؤلاء الذين يصدرون ردود أفعال غاضبة ، فإنهم لا يقومون إلا بإثارة المزيد من الرد الوقح مما يبدأ دائرة لا تنتهى إلا بإرهاق أحد الطرفين ، أو خروجه من الحجرة .

ويتم التعرف جزئياً على الرد الوقح من خلال معرفة المشاعر التى يسببها ، إلا أنه فى بعض الأحيان قد يقول الأطفال أشياء تسبب القلق والحزن ولكن لا يمكن تصنيفها على أنها رد وقح .

وهذا مثال حقيقي لحديث من طفل لا ينبغي أن يُفهم كرد وقح

كان " تروى " البالغ من العمر ستة أعوام ابن " إيند " — وهى أم عاملة كانت مشغولة جداً ، لدرجة أنه كثيراً ما كانت تمر الأسابيع دون أن تتبادل الحديث معه سوى بكلمات قليلة . وذات مرة ، وبينما كانت " إيند " تستمع إلى شريط تعليم اللغة اليابانية وهى تقل ابنها بالسيارة لحضور تدريب لعبة الكاراتيه ، قال " تروى " : " أمى ، أعتقد أنك تشعرين بالملل منى " . أزعج هذا القول " إيند " لأنه جعلها تدرك الطريقة التى كانت تعامل بها " تروى " . ولكن لا يمكن بأى حال من الأحوال اعتبار هذه الجملة المحزنة رداً وقحاً ؛ فلم يكن المقصود منها السيطرة بل كان يقصد الطفل بها توضيح رؤيته لسلوك أمه . ومنذ هذه اللحظة ، خصصت " إيند " وقتاً من التركيز الكامل لـ " تروى " بمقدار ساعة على الأقل .

وهذه بعض الأشياء الأخرى التى يقولها الأطفال ، والتى تسبب قلقا ولكنها ليست رداً وقحاً .

" لماذا أنت ثائرة طوال الوقت يا أمى ؟ "

" من فضلك يا جدى لا تصرخ فى وجه أمى " .

" أبى : إننى لا أحب أن أذهب أنا وأمى إلى مكان بدونك " .

" أتمنى لو كان لنا منزل أفضل من هذا لأعيش فيه مثل " بيللى " " .

" فى الحقيقة لا أود ارتداء الملابس التى تبتاعها لى من المعرض بغض

النظر عن مظهرها ؛ لأننى لا أبدو فيها بمظهر حسن " .

فهذه الأمثلة للتواصل الصادق من الأطفال ، يتم قولها بنبرة صوت تنم عن قول الحقيقة ، وليس فى نبرة تدل على التحقير ، أو السخرية ويجب الإنصات لها ، والتحقق منها ، ومناقشتها ، وعدم النظر إليها على أنها رد وقح .

الخطوة الثانية : اختيار نوع العقاب

لا ينبغى تأجيل أى عقاب يُستخدم لكبح الرد الوقح ويجب أن يكون العقاب معقولاً . ولفهم هذه الخطوة ، تخيل أنك فى الثالثة عشرة من العمر ، وأنك تتناول طعام العشاء مع عائلتك وتتساءل قائلاً : " هل من المفترض أن يكون هذا الطعام صالحاً للأكل ؟ " لقد قيل لك إن هذا الكلام غير مقبول ، وأنه كعقاب على ذلك ستترك المائدة على الفور ، ولن تنضم للعائلة بعد العشاء فى الذهاب إلى أحد محلات منتجات الألبان . إن كلا العقابين معقول نظراً لأنك ترفض الحديث بالأسلوب اللائق الذى يطلبه منك والداك خلال الاجتماعات العائلية . إنك سوف تحرم من العشاء ، ولن تتحادث مع العائلة ، وكذلك لن تشاركهم فى أكثر الأنشطة متعة . وأى مناشدات من جانبك بأنك تشعر بالجوع سيتم تجاهلها تماماً .

وفيما يلى قصة حقيقية توضح أن اختيار العقاب المعقول أمر بسيط جدًا ، ورائع الأثر .

قصة الحالة الرابعة : كانت " سوزان " التى تبلغ من العمر ثمانية أعوام تقضى الليلة فى منزل إحدى الصديقات . وكانت هى المرة الأولى التى تسهر فيها مع " بيكى " والتى لم يكن والداها يعرفان " سوزان " بشكل جيد . وتعمل " جون " والدة " سوزان " مع والدة " بيكى " فى شركة التأمين حيث كانتا تعملان كمديرتين تنفيذيتين .

وفى حوالى التاسعة من تلك الليلة ، طلبت " بيكى " من " سوزان " أن تتصل بوالديها وتطلب منهما إحضار جهاز الفيديو الخاص بها ؛ لأن جهاز " بيكى " كان معطلاً . وعند هذه اللحظة ، وبمشاهدتها للرد الوقح المتواصل لـ " بيكى " مع والديها ، لم تتوان " سوزان " فى أن تطلب من والديها أن يأتيا حوالى ثلاثة أو أربعة أميال لمنزل " بيكى " على الفور ليحضروا الجهاز .

فقالت والدة " سوزان " : " ولكننا ننوى استخدم جهاز الفيديو فى وقت متأخر الليلة " .

فردت " سوزان " بغطرسة قائلة : " إننى أحتاج ذلك الجهاز الآن ، وتستطيعين مشاهدة فيلمك بالغد ". ثم قامت بتدوير مقلتى عينيها لإرضاء " بيكى " ، وأضافت : " تباً ، يا أمى أنا أقصد : ما هى المشكلة فى ذلك ؟ فكل ما عليك هو أن تنهضى وتستقلى السيارة ، وتحضرى إلى هنا على الفور ! "

وحددت " جون " العقاب المناسب لهذه الحالة بشكل أفضل . فردت بحدة قائلة : " إننا سنكون عندك على الفور يا " سوزان " حيث ترتدين ملابسك ، وحذاءك ، وسنتوجه بك إلى المنزل على الفور .

فقالت " سوزان " بنبرة مشابهة تماماً لنبرة صوت " بيكى " عندما كانت " بيكى " تستخدمها فى وقت سابق كرد وقح فقالت : " لا أعتقد ذلك " .

قالت الأم : " لقد كانت نبرة الصوت التى استخدمتها لتوك ، والطريقة التى تحدثت بها إلىَّ غير مهذبة . وتصرفك هذا غير مقبول . "

فصرخت " سوزان " قائلة : " لا أعتقد ذلك ، فلن أحضر للمنزل الآن ، ولا أهتم بما تقولين ".

فقالت " جون " متجاهلة نبرة صوت " سوزان " : " من فضلك أخبرى والدة " بيكى " أنك ستغادرين منزلها بعد فترة قصيرة ، واحزمى أغراضك ، واستعدى للمغادرة فى غضون نصف ساعة ".

وما إن بدأت " سوزان " بقول : " ترغب " بيكى " فى الحديث إليك " حتى أنهت " جون " المكالمة بسرعة . وفى خلال نصف ساعة كانت هى وزوجها يطرقان باب منزل " بيكى " . ولم تكن " سوزان " قد حزمت أغراضها بعد ، أو أخبرت أى أحد بأنها ستغادر . وأخبرت " جون " وزوجها والدى " بيكى " ، عن سبب تصرفهما بهذه الطريقة . وتحادث الآباء بطريقة لطيفة متجاهلين التوتر الحادث ، فى حين كانت " سوزان " تستعد للعودة إلى المنزل .

وتؤكد " جون " أن " سوزان " لم تحاول قط الرد بوقاحة فى أى موقف بعد ذلك . لقد كان العقاب بالعودة للمنزل عقاباً معقولاً جداً ؛ لأنه كان مرتبطاً مباشرة بالرد الوقح . وهذا مثال آخر لعقاب معقول تم اختياره فى موقف تعليمى .

قصة الحالة الخامسة : تعمل " شيلى " فى معسكر صيفى يقوم بتعليم الأطفال كيفية تصميم ألعاب فيديو على حاسبهم الشخصى ، وكان من بين طلاب المعسكر العشرين فتى اسمه " كيفين " يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً ، وكان خبيراً وبارعاً جداً فى ألعاب الفيديو والحاسوب ، وكان يجعل من المستحيل عليها أن تقوم بالتدريس فى الفصل بسبب تعليقاته اللاذعة . فدائماً ما يرفع صوته فى الفصل ويرفض القيام بأى عمل يُعهد إليه ، ويشجع الآخرين على التكاسل

عن العمل . وتوضح " شيلى " فتقول : " وكانت شكواه الرئيسية عدم وجود أجهزة كافية للتدريب عليها . وكنت أنا أيضاً مستاءة من ذلك ولكن لم تكن الميزانية تسمح بشراء أجهزة إضافية ، لذا فكنت أقوم بتعليم مرحلة ما قبل الإعداد وكتابة النصوص ، والأنشطة الأخرى التى يمكن فيها استخدام الورقة والقلم وهى الأدوات الرئيسية المتوفرة لدينا . وقد كان الأطفال الآخرون متكيفين تماماً مع هذا القصور إلى أن أخبرهم " كيفين " أن هذا المعسكر يكاد يكون " مدرسة حقيقية " ، وأنه لا ينبغى عليهم أن يصبروا على ذلك ؛ لأنه من المفترض أن يكون هذا المعسكر ممتعاً . وكانت " شيلى " تعانى من سلوك " كيفين " وكثيراً ما تنهى الموقف معه بالصراخ فى وجهه بحدة .

وبعد أن تعلمت " برنامج الخطوات الأربع " سنحت الفرصة لـ " شيلى " كى تطبق البرنامج على " كيفين " بعد زيارة ميدانية قام بها المعسكر لإحدى الشركات المنتجة لألعاب الفيديو . لتقول " شيلى " : " لقد أحب " كيفين " الزيارة الميدانية ، وكان يتصرف بأسلوب رائع خلالها . ولكن فى اليوم التالى ، وعندما كان فظاً فى الفصل مرة أخرى أعلنت أن شركة إنتاج ألعاب الفيديو ترغب فى الحصول على أسماء الطلاب الذين أرى أنهم تفوقوا فى امتحان ألعاب الفيديو . وبالطبع ، صاح " كيفين " أنه يجدر بى أن أعطى اسمه للشركة ".

وفجأة أدركت " شيلى " أنسب أنواع العقاب لـ " كيفين " والطلاب الآخرين المتأثرين به ، فقالت : " كلا يا " كيفين " لقد كنت دائماً ما تصعّب الأمور علىّ فى الفصل ، وكنت على علم بالقواعد الواجب اتباعها ، وليس بإمكانى أن أزكيك لدى أحد " ولكن ماذا كان رد فعل " كيفين " ؟ تقول شيلى : " لقد صرخ ، بكل ما فى الكلمة من معنى ، وظل يصرخ لمدة خمس دقائق كاملة بكل ما أوتى من قوة " .

ثم قال : إنه لم يكن يجدر بى أن أعامله بتلك الطريقة ، فلم أقم بأى رد ؛ فصرخ مرة أخرى ، ولكن فى هذه المرة تعاطف معه الأطفال . وعندئذ قال : " ماذا تظنين نفسك ؟ ليس لديك الحق فى معاملتى بمثل هذا الأسلوب " .

وردت " شيلى " على هذا الرد الوقح بعقاب مناسب آخر ، فقد قامت بإبعاد " كيفين " من حجرة الدراسة باقى ذلك اليوم . وعندما عاد فى اليوم التالى ، سأل " كيفين " " شيلى " عما إذا كانت ستغير رأيها بشأن كتابة اسمه لشركة ألعاب الفيديو إذا كان سيحسن التصرف ، فقالت " شيلى " بصوت مرتفع يسمعه كل من بالفصل " كلا ، لن أغير رأيى " . وعندئذ تنهد " كيفين " وللمرة الأولى منذ بداية المعسكر وبدأ فى مواصلة التدريب على الصور الإيضاحية مع المجموعة الخاصة به . واستمر فى سلوكه الجيد طوال الفترة الباقية فى المعسكر .

وتضيف " شيلى " بدهشة : " إننى أعتقد بحق أنها كانت هى المرة الأولى التى يواجه فيها " كيفين " عقاباً على سلوكه . ولذا فقد كان مندهشاً وكذلك الأطفال الآخرون ".

وقد كان اختيار " شيلى " لطريقة العقاب منطقياً للغاية ، فليس من الممكن أن يتوقع أحد أن تقوم بتزكية شخص يعاملها بشكل سيئ . وكانت " شيلى " تشعر بالأسف ؛ لأنها لم تستخدم " برنامج الخطوات الأربع " منذ المرة الأولى التى قام فيها " كيفين " بإحداث الفوضى فى الفصل . وتقول : " كان ينبغى أن أقوم باختيار عقاب مناسب على الفور . وفى المرة القادمة سأقوم بذلك " .

الخطوة الثالثة : تطبيق العقاب

لكى يكون عقاب الرد الوقح فعالاً ، يجب تطبيقه على الفور وكذلك يجب أن يكون مناسباً . فبعد اختيار العقاب المناسب ، يجب على الوالد (أو أى بالغ آخر لديه السلطة) تطبيقه على الفور ، دون منح أية فرصة أخرى للشخص الذى يرد بوقاحة ، بغض النظر عن المناشدات والوعود التى يقطعها على نفسه بالتغيير .

ففى حالة " سوزان " التى كانت ترد على والديها بطريقة غير مهذبة من منزل صديقتها ، تم تطبيق عقاب الرد الوقح على الفور ؛ فقد تم العودة بالابنة إلى المنزل . ولم يكن من السهل فعل هذا ، ولكن الوالدين قد أعدا نفسيهما لاتخاذ هذه الخطوة .

وقد اعترفت المعلمة " شيلى " بأن التطبيق الفورى كان صعباً للغاية فتقول : " لقد مللت من التهديد " ، وجملة : " فى المرة القادمة سوف ...." وكنت أعتقد أن وعد الطفل بأن يكون حسن السلوك من الآن فصاعداً هو وعد ملزم ، ومن ثم أجبرت نفسى على تطبيق العقاب فى التو واللحظة .

وتضيف " شيلى " أنه كان من الصعب بشكل خاص تجنب كلمة " إذا " ، فقد كان من الطبيعى جداً أن أقول فى حالة " كيفين " : " إذا ما عاملتنى بشكل سيئ يوماً ما ؛ فإننى لن أزكيك كشخص بارع فى ألعاب الفيديو " ، أو " سأزكيك إذا ما أحسنت التصرف اليوم " . ولم أدرك قط مدى اعتماد المعلمين على جمل " إذا " . ولكن كلمة " إذا " كلمة مساومة لإجراء صفقة ، والصفقة لا تجدى مع الطفل لثلاثة أسباب :

١. تمنحه خيارات ، وفى حالة الرد الوقح لا ينبغى أن يمنح خياراً عندما يسلك هذا السلوك ؛ فهى لغة غير مقبولة .

٢. يمنح التفاوض مع الطفل الحق فى أن يتصرف كمفاوض ، وكأنه ليس هو المسئول عن موقف الرد الوقح ولكن المسئول هو الشخص البالغ .

٣. يقوم التفاوض بمنح الشخص الذى يرد بوقاحة وقتاً ذهبياً . فعندما تقول : " إذا استمررت فى الحديث بتلك النبرة ، فلن تذهب لأى مكان فى عطلة نهاية الأسبوع " ، فإنك تدعو طفلك للتمادى فى الرد الوقح (فهو يعلم أن بإمكانه التفاوض من جديد عند حلول عطلة نهاية الأسبوع) ويؤجل العقاب لبضعة أيام . وبالنسبة للوالد ، فإن " الوعيد " يعنى توقيع العقاب فيما بعد ، حيث قد ينسى الوالد أو الطفل الرد الوقح الأصلى . وربما يضطر الوالد لاستعادة جميع المشاعر السيئة الأصلية مرة أخرى من ذاكرته ليكون لديه الحافز الضرورى لتطبيق العقاب .

هناك حل أفضل ، وهو أن تقوم بتطبيق العقاب على الرد الوقح على الفور كما يتضح من القصة التالية :

قصة الحالة السادسة : كان بمقدور " شيلى " أن تطبق الخطوات الثلاث الأولى عندما كانت تقوم بتدريس أساسيات صناعة الأفلام ، فتقول : " كان يجب تقسيم الأطفال إلى مجموعات ، وكل مجموعة كان يجب عليها تقديم اقتراح لفيلم مدته دقيقتان وله بداية ، وموضوع ، ونهاية . وجاءت ثلاث فتيات من إحدى المجموعات إلىّ وقلن إن الفتاة الرابعة فى تلك المجموعة وهى " جوان " لا تستمع لأفكارهن . وأضفن أنها تصر على استخدام الرد الوقح لدرجة جعلتهن يستخدمن أفكارها " .

وتضيف " شيلى " : " عندما تحدثت إلى " جوان " اشتكت بأن الثلاث الآخريات كن سيئات لأنهن رفضن الاستماع إليها ، فأخبرت

" جوان " أن الفتيات الأخريات لم يحببن الطريقة التى تتحدث بها إليهن ، فردت " جوان " بأنهن يستحققن الرد عليهن بوقاحة لأنهن لم يسمحن لها بتنفيذ طريقتها " . فتقول " شيلى " : وبلا أية دهشة قمت باختيار وتنفيذ العقاب الأكثر ملاءمة ، فقد أخبرت " جوان " أنها ستعمل بمفردها وأن الفتيات الثلاث الأخريات بمقدورهن تكوين مجموعة بدونها .

كانت " جوان " تتميز غيظاً ، فقد كانت تتوقع بصورة كبيرة أن أجبر الفتيات الأخريات أن يعملن تحت قيادتها . وعندما رأت أننى لن أغير رأيى ، قالت إنه ينبغى أن أمنحها فرصة ثانية للعمل مع الفتيات . وكان أصعب ما فى الأمر عندما تحولت " جوان " من الوقاحة إلى البكاء ، فقالت وهى تبكى :" كم كنت وضيعة ! " وتضيف " شيلى " : لم أكن أعلم أن بها عجزاً تعليمياً خطيراً ، ولكننى كنت أعرف ما هو أفضل من الاستسلام لها ، فقد أخبرتها أن باستطاعتها أن " تطلب " من الطلاب الآخرين مساعدتها فى العمل ، والإعداد ، وأعمال التصوير ، أو " أن تدفع لهم مقابل ذلك " ولهم أن يقبلوا أو يرفضوا العمل معها . وسوف ترأسهم إذا ما قبلوا العمل لديها ، ولكنها ستكون هى العضو المسئول الوحيد فى المجموعة . وقد أثبت هذا جدواه بشكل رائع ، فقد استمتعت " جوان " بكونها المنتج ، والمخرج ، والمؤلف ، والنجم . ولم تواجه أى متاعب فى الحصول على " موظفين " لأن الكثير من الطلاب الآخرين كانوا يرغبون فى الحصول على المزيد من خبرة الإنتاج أكثر مما كانوا يحصلون عليه فى المجموعات الخاصة بهم . وقد أدركوا أنهم " كموظفين " يجب عليها أن تعاملهم بشفقة وعدل وإلا سيستقيلون على الفور . ومن ثم فقد تعلمت كيف تتعامل مع الآخرين لتفوز بتعاونهم . وقد تصبح ذات يوم منتجة أفلام مشهورة ورائعة فى " هوليوود " .

وفي حالة " أماندا " والدة الفتاتين اللتين تردان رداً وقحاً ، قامت " أماندا " بتطبيق الخطوة الأولى بالتعرف على الرد الوقح ولكن العقاب التى قامت بتطبيقه - وهو إرسال الفتاتين للعيش مع أناس آخرين . لا يمكن أن نطلق عليه عقاباً منطقياً ، بل كان في الحقيقة تخلياً عن دورها في التربية واعترافاً منها بالهزيمة ، ومن ثم فلن يكون مثل هذا العقاب مجدياً أبداً فى الواقع .

ففى كل وقت تعود فيه الفتاتان إلى المنزل لزيارة " أماندا " فإنه على الرغم من أن معاملتهما لها ستكون في البداية حنونة ومبهجة إلا أنها سرعان ما تتدهور إلى رد وقح متزايد في الوقاحة والضجيج المزعج إلى أن تتخلص " أماندا " منهما مرة أخرى ، وقبل انتهاء الأيام المقررة لهما لزيارتها ، ومما يدعو للسخرية أن إحدى الفتيات قالت ذات مرة أثناء إحدى معارك الرد الوقح أنهما لا تجرؤان أبداً على التحدث لأقاربهما الذين تعيشان معهم بالطريقة التى يتحدثان بها إلى أمهما . فقد كانتا تحترمان أقاربهما كثيراً جداً :

وهذه بعض النقاط المهمة التى يجب أن تضعها في حسبانك عندما تقوم بالرد على الرد الوقح والإعداد لتطبيق إحدى العقوبات :

- تحدث عن أفكارك ، أو مشاعرك فقط وليس عن الخطأ الذى يفعله الطفل أو يقوله . على سبيل المثال ، قد تقول بنبرة صوت حيادية وواقعية ما يلى : " أرى أن هذه النوعية من الحديث غير مهذبة ، وتدفعنى للغضب ، ولذا فقد قررت ألا أصحبك معى إلى منزل " سوزى " ، ولا تقل " إنك طفل مزعج ، سليط اللسان ولن تذهب لأى مكان اليوم ! "
- استخدم كلمات مهذبة **لا تدل** على الانتقام ، وتحدث بها كما لو كان الطفل لا يفعل شيئاً . على سبيل المثال قل :

" أرى أن تلك الكلمة مثيرة للغضب " بدلاً من أن تقول : " لا تتحدث إلىّ بتلك الكلمة البذيئة مرة أخرى أبداً " .

- اذكر العقاب المزمع مرة واحدة فقط : " لقد شعرت بسوء المعاملة وأنت تناديني بذلك الاسم . وأشعر أن مشاعرى جرحت ، ولذا فإنني لا أرغب في شراء ذلك الزوج من الأحذية هذا المساء " ، ولا تقم بتبرير أو توضيح قرارك . فالأطفال يعرفون المنطقى وغير المنطقى ، حتى على الرغم من محاولتهم إقناعك بعكس ذلك .
- قم بربط العقاب بالإساءة . على سبيل المثال ، قم بالتوضيح للطفل أن أى نشاط يحدث مباشرة بعد الرد الوقح سيكون نتيجة له : " سأحرمك من تلك اللعب فترة من الزمن ؛ لأنكِ ناديتنى بالأحمق عندما طلبت منكِ أن تقومى بالتقاطها من الأرض " ولا تقم بضربها أو القول لها : " أيتها الفتاة السيئة ، يجب ألا تنادينى بذلك مرة أخرى ! " .
- عندما يتوسل الطفل لنيل فرصة أخرى كأن يقول " إذا قمت بشراء ذلك الزوج من الأحذية الليلة لأتمكن من ارتدائه في حفلة " جيمى " ؛ فإننى أعد ألا أقول ذلك ثانية أبداً " ؛ فلا تستسلم له . إن الطريقة الوحيدة للفوز بالمصداقية هى أن تواصل العمل . وبالطبع فإنه في بعض الأحيان ، ستتسبب مواصلة العمل في مضايقة كليكما ، ولكن هذا جزء من وظيفتك كوالد .
- استخدم مشاعرك كمبرر للعقاب ، فقل : " لقد آذيت شعورى " ، أو " لا أشعر بالارتياح " ، أو " أشعر بالغضب " ، أو " أشعر بالعجز " كمبرر لتوقيع عقوبة . فإنك لديك الحق في عدم الرغبة في فعل أشياء جيدة

لشخص يعاملك بطريقة سيئة . فقط كن واقعياً وغير انتقامى في استخدامك للعقاب . إن الكثير من هذه الأمثلة قد يكون دالاً على الانتقام إذا قيلت بنبرة صوت توحى بأنك تقول : " سأتمكن منك ! "

استخدام أسلوب الأوامر ، والنواهى على الرد الوقح

أشياء لا ينبغي عليك أن ترد بها أبداً على الرد الوقح :

- " ماذا قلت لتوك ؟ " فإن الطفل سيرد تقريباً دائماً بقوله : " لا شيء " ، فتجيب قائلاً : " لقد سمعت ما قلته " ، وسيقوم الطفل بالإنكار مرة أخرى بأنه لم يقل شيئاً . ونتيجة لذلك ينشأ جدل يكون الطفل فيه في موضع قوة .
- " لقد سمعت ما قلته " ؛ لأن الطفل قد يرد ببعض التعليقات من قبيل : " وماذا فى ذلك " ، أو : " ماذا ؟ ماذا قلت ؟ " وينتهى الأمر بالهجوم عليك .
- " لقد أوقعت نفسك في ورطة ! " ؛ لأن الطفل سيرد بنبرة صوت تدل على البراءة ويقول " ماذا قلت ؟ " فتقوم بإعادة ما قاله ، ويصر هو على أنه لم يقصد به " ذلك المعنى " وينهى الأمر وهو فى موقع أقوى .

أشياء ينبغى أن ترد بها دائماً على الرد الوقح :

- " هـذا النـوع مـن الكـلام (أو السـلوك) يجـرح مشاعرى (أو يرهقنى ، أو مهمـا يكـن مـا تشـعر بـه) ، ونتيجـة لـذلك فلـن ... " إنـك تحـدد السـلوك ، وتحـدد أثـره ، وتبقـى مسـيطراً علـى الموقف .
- " هـذا النـوع مـن الكـلام غـير مقبـول في منزلنـا (أو عائلتنـــا ، أو منـــزلى ، أو بالنســـبة لى) ، ونتيجة لـذلك فـإننى ... " وبـذلك فإنـك تؤسـس معايير التواصل في عائلتك .
- " إننى لا أسمح بنبرة الصـوت تلـك (كـأن تكـون سخرية ، أو صراخاً) ، أو تلك الإيماءات (كـأن تكون الدوران بمقلتى العين) " فإنك بذلك توضـح موقفك .



(وسوف تجد الكثير من الأفكار بشأن اختيار أنواع العقاب ، وتطبيقها في الفصل الخامس " دفتر العمل ") .

الخطوة الرابعة : الانسحاب من النزاع

رأيت لتوك أنه في العديد من قصص الحالات غالباً ما ينشأ نزاع عند البدء في تطبيق الخطوات الثلاث الأولى . وكانت " أماندا " فقط هى التى تجنبت هذا النزاع عن طريق التخلص من بناتها من المنزل . ولذا ، فإنها لم تجرب الخطوة الرابعة - وهى الانسحاب من عنف الأطفال البالغ عندما ينفثونه . والخطوة الرابعة خطوة حاسمة ؛ لأنه يجب أن يدرك الأطفال أن ما يفعلونه لا يمثل مشكلة، وأن الأم ، أو الأب تعاملا مع الموقف ، وواصلا حياتهما فى هدوء ، وسرعان ما يشعر الطفل بالتعب جراء تنفيث غضبه . وفي النهاية سيقلع الطفل عن السلوك - وهو الرد الوقح - الذى تسبب في النتائج التى أدت لغضبه .

وإليك طريقة أخرى للتفكير في الخطوة الرابعة : يوضح الوالد من خلال انسحابه من النزاع أنه لا يهتم كثيرا بالسلوك المعارض . ونتيجة لهذا فإن الطفل يدرك أن هذا السلوك لن يفيده ، ولن يجعله يحصل على الاهتمام ، والقوة ، والانتقام ، مما يضيف شعورا خاطئاً بالانتماء والأهمية اللذين ينبغى الحصول عليهما .

وفي قصة الحالة الثانية كان بوسع الأم الانسحاب من النزاع عن طريق اقتياد " ساندى " إلى حجرتها لكن إذا كان الابن كبيراً جداً ، أو ضخماً جداً لدرجة يستحيل معها تحريكه ، فإننا نوصى الوالد بمغادرة الحجرة ، أو فعل أى شيء آخر . والهدف ألا تجادل ، أو تناقش ، أو تحاول وقف المناشدات ، والاحتجاجات .

المزيد من طرق الانسحاب

اصطحب معك كتاباً في كل التنزهات التى تقوم بها . وإذا كان عليك استبعاد طفل يرد رداً وقحاً من متحف ، أو مسرح ، أو كان

عليك انتظار باقى أفراد عائلتك أو أصدقائك حتى ينتهوا من رحلتهم ، يكون لديك شيء ما تطالعه ، وأنت تنتظرهم مع الطفل في السيارة ، ومن ثم فلن تتورط معه في جدال ، أو نوبة غضب . وإذا لم يكن باستطاعتك التركيز في قراءة الكتاب والطفل معك ، فاصطحب معك أوراق عمل ، أو عدداً قليلاً من الخطابات التى يجب الرد عليها ، أو دفتر يوميات للكتابة فيها .

وفي الأوقات التى تضطر فيها للانسحاب أمام الطفل الذى يقوم بالرد الوقح ، ينبغى أن يكون من يجلس معه خلال تلك الفترة أشخاصاً بالغين راشدين يمكن الاعتماد عليهم ، ولكن ليس بالضرورة أن يكونوا مألوفين بالنسبة للأطفال ، ويمكن الاعتماد عليهم في الالتزام ببرنامج محدد مسبقاً . ولا يجب أن يكون من المراهقين الصغار الذين قد يستمتع طفلك بصحبتهم عما لو كنت معه .

والهدف هو أن تبعد نفسك بعد تطبيق العقوبة ، ولا تظهر أية استجابة للطفل في تعبيرات جسدك ، أو تعبيرات صوتك ، أو وجهك . وعندها سرعان ما يتوقف الطفل ؛ لأن تصرفه لم يعد يثير ما يريده منك وهو الاستجابة السلبية بالاهتمام ـ ومن أمثلتها : الأذى ، والغضب ، والعجز ، والسخط ـ لكى يشعر بالأهمية الخادعة .

وسوف نقوم في " الجزء الثانى " بتوضيح طريقة تطبيق " برنامج الخطوات الأربع " . بمزيد من التفصيل .



٣

أصعب ما فى استخدام هذا البرنامج

عادة ما يكون تعلم التعرف على الرد الوقح أمراً بسيطاً . وتبدو الخطوة الثالثة ـ وهى تطبيق العقاب ـ هى أصعب جزء بالنسبة للآباء . حيث يجب أن يتم التطبيق على الفور بدون السماح بأى فرصة أخرى ، ولا التفات للوعود بأن الطفل سيكون " لطيفاً " ، أو " لن يتحدث بمثل هذا مرة أخرى " . ويرى الكثير من الأطفال أن هذا الحرمان من فرصة ثانية أمر يثير الحنق ، وغير مراع لمشاعرهم ، وانتهاك حقيقي لحقوقهم .

إذن ، لماذا لا نمنحهم فرصة ثانية ؟

السبب الرئيسى هو أن التطبيق الفورى للعقاب ينهى الموقف مباشرة .

والسبب الثانى هو أن الفرص الثانية ـ كما في قولك " إذا فعلت ذلك مرة أخرى ، فإننى ... " ـ كثيراً ما تتحول إلى تهديدات عديمة

الجدوى . وقد لا يرغب الآباء في أن تكون تلك التهديدات عديمة الجدوى ، ولكن كثيراً ما يكون السبب فى عدم جدوى التهديدات هو قلة الطاقة ، أو الوقت ، أو الشعور بالغضب ، الأمر الذى يحول دون تنفيذ التهديد إذا ما قام الطفل بالرد بوقاحة " مرة أخرى " . ومن المحتمل أن يقوم الطفل بهذا السلوك لمجرد اختبار الوالد .

والسبب الثالث هو أن الفرص الثانية قد تتسبب أيضاً فى ردود فعل مبالغ فيها . إن الوالد لعلمه أنه يجب أن يتصرف عندما يرد الطفل بوقاحة في المرة التالية ، فإنه قد يتصرف بغضب شديد ، ويبدو كما لو كان لا يمكن السيطرة عليه . وقد تؤدى حقيقة أن الطفل يحاول بالفعل الرد بوقاحة إلى جعل الوالد يغضب أكثر مما ينبغى في الظروف الطبيعية .

والسبب الرابع هو أن منح الطفل فرصة ثانية يجعله في موضع قوة ، فهو يعطيه الفرصة للتقرير إذا كان سيقوم بالرد بوقاحة مرة أخرى ، وكذلك سيمنحه السيطرة على الحالة النفسية للعائلة كلها . فالابتعاد ولو قليلاً عن الموقف الحاسم سيشعل مشاعر الغضب والاستياء فى نفوس الجميع فيا له من شعور رائع بالقوة بالنسبة للطفل !

باختصار ، فإنه يجب أن يعلم الأطفال أنهم في كل وقت يردون بوقاحة فإنهم سيضطرون لمواجهة نتائج ذلك الرد . وهذه النتائج تبدأ بمجرد الشروع في الرد بوقاحة .

ولكنك قد تستمر في الشعور بأنك مستبد ؛ لأن الكثير من الكتب والمستشارين وغيرهم من الخبراء في تربية الطفل ـ لا تذكر هذا لطفلك أو أفراد عائلتك ـ يحاولون إشعارك بأنك مستبد ؛ فهؤلاء " الخبراء " يتبعون ما يسمى بالمدرسة التقدمية للتفكير حيث يكون الوالد فيها بمثابة صديق .

وما يجب عليك إدراكه أنت وهؤلاء أن وظيفتك هى أن ترسخ جواً عاطفياً ، وتؤهل الأطفال الذين يعيشون بمنزلك بالتهذيب ،

والتوجيه . فوظيفتك هى أن تمدهم بالطريقة التى يشعرون بها بالأهمية والانتماء للعائلة . ويجب أن تعلمهم نوع السلوك الذى يمكنهم من التعايش الإيجابى في منزلك . وهذا لا يتم من خلال وضع عقوبات مناسبة على سلوكهم غير المقبول في العائلة .

وإذا كنت لا تزال بحاجة للاقتناع بأنه لا يجدر بك منح فرصة ثانية للرد الوقح ، فهناك سبب وجيه يوضح العلة : بمنح طفلك فرصة ثانية ، فإنك بذلك تعلمه أن يتوقع من الآخرين - مثلا المدرسين ، والزوج ، والأصدقاء ، وأصحاب العمل - أن يمنحوه فرصة ثانية ، وثالثة ، ورابعة بمجرد أن يطلب ذلك ، فى حين أنه يجب أن يتعلم مدى تأثير الرد الوقح على الآخرين . وإذا لم يتعلم كيفية شعور الآخرين تجاه ما يقوله ، فإنه لن ينمو لديه أية عاطفة تجاههم . والأطفال الذين تعوزهم العاطفة تجاه الآخرين يعوزهم أيضاً احترامهم ، وبذلك يفشلون في تنمية الشعور الإيجابى بالانتماء ، والذين هم بحاجة إليه لينعموا بالسعادة في الحياة .

ونحن نعلم أنه من الصعب تطبيق العقوبات على الفور . إنك الوالد الحنون ، العطوف ، المتسامح ، الذى دائماً ما يستسلم ، والذى دائماً ما يتأثر بلمسة حانية من طفله حتى يحقق له ما يريد منه . إن تطبيق عقوبات فورية يتطلب جهداً ، وفكراً ، وشجاعة قد لا تتوفر لديك في نفس اللحظة .

وقد يفيدك أن تعلم أنه فيما بعد في الحياة ستجد الأبناء بعد أن نضجوا يتحدثون بطريقة جيدة ، بل بإعجاب عن الآباء الذين وضعوا حدوداً للحديث الوقح .

وقصة الحالة التالية - وهى قصة حقيقية ترويها " أودرى ريكر " . توضح الخطوات الأربع لبرنامج الخطوات الأربع للرد الوقح .

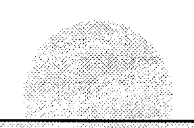
قصة الحالة السابعة : لن أنسى أبداً ذلك الألم الذى شعرت به عندما قام زوجى الثانى بتطبيق العقوبة بالفعل على طفلى عندما قام

بالرد الوقح . فعندما قام " نوح " بالتحدث مع زوج أمه بنفس الطريقة التهكمية التى كان يستخدمها معى قائلا : " لن أساعد في غسل الأطباق وليس بمقدورك إجبارى على فعل أى شيء لا أرغب في فعله ". قام زوجي بالتصرف على الفور ، فقد قام بإخبار " نوح " أنه سيقوم بتنظيف الأطباق بمفرده . وطلب منه أن يدخل المطبخ ، وألا يخرج منه إلا بعد الانتهاء من غسيلها ؛ فصرخ طفلي ونظر إلىّ . لقد كنت أعلم أن هذا بداية عهد لما تبقى من حياتنا معاً ، لذا فقد صرفت نظرى بعيداً . وقد كانت هى المرة الأولى في حياة " نوح " التى يقوم فيها أى شخص بإجباره على فعل شيء ضد رغبته . وبالنظر بعيداً ، لم أكن أتخلى عن ابنى فقط ولكننى أيضاً ـ كنت أتخلى عن أفكار " إيه . إس . نيل " مؤسس مدرسة " سمر هيل " للفكر التقدمى ، وكذلك د . " سبوك " اللذين يعتقدان أنه ينبغى أن يكون الآباء دائماً أصدقاء مقربين لأطفالهم ، وكذلك الإخصائي النفسى لابنى الذى كان يعتقد أن الرد الوقح لـ " نوح " كان تعبيرا صحياً عن مشاعر عميقة مكبوتة . وكذلك أمى التى علمتنى أن هذا الطفل الوسيم لا يمكن أن يخطئ ، وأنه ينبغى تدليله دائماً . وكنت على يقين أننى أصنع شخصًا معتاد الإجرام ، أو سفاحاً ، أو شريراً ، أو منحرفاً .

وقد كان الانسحاب من النزاع أمراً صعباً للغاية ، فقد جلست في حجرة المعيشة أقرأ كتاباً ، بينما كان زوجى يشاهد التلفاز . وكنت على يقين أن ابنى سيقوم بكسر جميع الأطباق الموجودة بالمطبخ . وفي كل خمس دقائق كنت أحاول أن أمنع نفسى من الذهاب للمطبخ لمراقبته . ولكن بعد نصف ساعة أو ما يقاربها خرج من المطبخ ، وقال بأدب إنه تم الانتهاء من جميع الأطباق . ومنذ ذلك الحين ، كانت وظيفة غسل الأطباق في العائلة من تخصصه . ولم يتحدث ابنى مع زوجى ، أو معى برد وقح بعد ذلك أبداً مهما كان الأمر .

ولن أقول أننا بعد ذلك عشنا جميعاً في سعادة ، بل سأقول إننى قد تعلمت في تلك اللحظة أن الأفعال أبلغ من الأقوال .





الجزء الثانى

التدريب

٤

تنفيذ برنامج الخطوات الأربع

كما أسلفنا ، فإن برنامج الخطوات الأربع الذى أوضحناه في هذا الكتاب يمكن تطبيقه على الفور إذا حدث رد وقح في المرة التالية . ولكن التخلص من شيء ما مثل قوة الرد الوقح ، يجدى بشكل أفضل إذا كانت توجد خبرة إيجابية ترغب فى تغييره . وقد يكون من بين أفضل الخبرات المرغوب فيها هى الحياة اليومية في منزل خال من الرد الوقح .

المنزل الخالى من الرد الوقح

المنزل الخالى من الرد الوقح هو منزل يوضح حب الشخص لعائلته والتقارب الذى يشعر به كل فرد في العائلة تجاه الآخر ، وارتياح كل

فـرد فيـه للتقـارب مـع الآخـر ، والأشـياء الجميلـة الأخـرى في حيـاة العائلة .

والبيت الخالى من الرد الـوقح هـو بيـت يـوفر جـواً مريحـاً وسـعيداً لجميع أفراده . وهـذا المنـزل يـنعم بكلمـات الاحـترام ، والتشـجيع ، والحنان . وإذا لم تكن تعرف خصـائص هـذا المنـزل ، فإننـا ننصـحك بزيارة منازل الآخرين وتكوين ملاحظات عقلية عما يعجبك فيها .

كما تقدم أفلام وعروض تلفـاز معينـة صـوراً إيجابيـة لتعامـل أفـراد العائلة فيما بينهم . وبالطبع ، فإن بعض هذه التصورات مثالية بشـكل مبالغ فيه ، فمن غير المعقول أن تتمنى أن تتعامل عائلتك دائمـاً مثلمـا تتعامـل الشخصـيات الموجـودة في فـيلم لــ " ديزنـى " . والفكـرة هنـا ببساطة هى أن تشاهد الكثير من المنازل الخالية مـن الـرد الـوقح بقـدر الإمكان .

كما ستجد بعض العائلات فى السينما والتلفاز من المفترض أن تكون سعيدة وهى ترعى أطفالاً يردون رداً وقحاً . وسوف تجد أيضاً عـائلات سعيدة وليس من الضرورى أن تكون كل أسرة صـغيرة خاليـة مـن الـرد الوقح . على سبيل المثال ، فإن مسرحية " لا يمكن أن تأخذها معك ــ **You Can't Take With You** " تتناول قصة عن أسرة سعيدة .

كما يمكنك قـراءة السـير الذاتيـة . فكمـا يتضـح في كتـاب : يمكـن للحب أن يبنى جسراً " **Love Can Build Bridge** " ، كانـت حيـاة " ناعومى جود " فى سنوات الطفولـة محاطـة بأنـاس يحبـون بعضـهم بعضاً . وكانت الأم دائمـاً مـا تجعـل أطفالهـا يشـعرون بأنـهـا تسـتمتع بالتفافهم حولها . وقد كان الأطفـال يتعلمـون احـترام جميـع الكبـار ، واحترام بعضهم بعضاً بمن فيهم أى شخص غريب الأطوار .

وهنـاك فـيلم وثـائقى تشـرف عليـه الجمعيـة القوميـة الجغرافيـة " ناشيونال جيوجرافيك " عن الغابات المطيرة لنهر " الأمازون " يوضح أنه ليس من الضرورى وجود المال لتحقيق سعادة الأسرة . ففـى القبيلـة

التى كانت محل دراسة هذا الفيلم الوثائقى ، كان جميع أفرادها يعيشون كأسرة واحدة كبيرة . وكانوا يأكلون ، وينامون ، ويعيشون مع بعضهم طوال اليوم . وعندما تزوجت إحدى الفتيات الشابات التى تنتمى إلى هذه القبيلة من أحد الأمريكيين المتخصصين في علم الأنثروبولوجيا ، وانتقلت للعيش معه في " نيو جيرسى " ، حاولت بصعوبة أن تتكيف مع حياة جديدة حافلة بكل ما يرغب فيه الأمريكيون الآخرون - من طفلين وسيمين ، وملابس ، ومنزل رائع لأسرة صغيرة وسط جيرة جيدة ، وشراء ما تحتاج بنظام حساب المبيعات الآجلة من أشهر المتاجر ، وسيارة تمتلكها ، وعضوية في الدائرة الاجتماعية الفكرية لزوجها .

إلا أنه في أقل من خمس سنوات كانت هذه المرأة عائدة إلى الغابات المطيرة لتعيش مع أسرتها " الحقيقية " لتعيش مرة أخرى بأقل قدر من الملابس في منزل متواضع ، وأغصان الكرم المتشابكة ، وتطهو لحم الحيوانات التى يتم اصطيادها في أوان فخارية يدوية ، وبدائية . ولم يكن أى من حساب المبيعات الآجلة ، أو المتاجر ، أو المراكز التجارية يمثل لها أى شيء مقارنة بمتعتها في العيش مع أسرتها في الغابات المطيرة . إذن ، فما السبب ؟ والسبب ببساطة هو أنها كانت تشعر بالوحدة وهى في " نيو جيرسى " حيث كانت عائلة صغيرة تعيش في منزل واسع . وفي النهاية يذكر الفيلم الوثائقى أن هذه المرأة صممت على أن يرسل زوجها السابق ابنتهما الكبرى لتربيها على طريقتها . وقد كان لهذه القبيلة قوانين تسير بها في حياتها ، فعلى سبيل المثال : كان البدء بالمشاجرة محظوراً وكان يجب على كل فرد أداء مهام معينة معهودة إليه . ولكن كانت متعة أفراد تلك القبيلة بصحبة بعضهم البعض تمتد طوال النهار .

إن تقارب الأسرة في ثقافات المناطق التى تعيش على صيد الحيوانات يحول دون الرد الوقح . ومن الصعب تحقيق هذا التقارب في

ثقافتنا وفي ظل وجود قيمنا المادية ، والمشاكل الناتجة عن الاعتداءات البدنية ، وسوء استعمالنا للأشياء ، وعاداتنا ، وقيمنا الأخرى التى تبدو أنها لا تشجع على استمتاع أفراد الأسرة حين يجتمعون مع بعضهم ، إلا أنه على الرغم من هذه العوائق ، فإنه يمكن تحقيق سعادة الأسرة من خلال الجهد ، والتدريب ، والتخطيط مسبقاً .

وإذا توافرت لديك فكرة واضحة عن الطريقة التى ترغب لأسرتك أن يتعاملوا بها ، فإنه سيصبح لديك وقت أسهل فى التعامل مع الرد الوقح . وسيكون عليك أن تحجب أى شكل من أشكال التواصل قد يعطل هذه الفكرة .

وعندما تصبح الفكرة واضحة بالنسبة لك ، قم بتحديد نبرات الصوت ، وطرق الحديث ، والإيماءات التى لا ترغب فيها في أسرتك . إن التهكم والدوران بمقلتى العين ونبرات الصوت ، والردود العدائية غير اللائقة ، والهجوم اللفظى الذى يحدث بلا إثارة من أحد ، جميعها عوائق لا يجب عليك الصبر عليها . ويجب على الوالدين أن يكونا نموذجاً للسلوك المهذب مع بعضهما من أجل أطفالهما . وعادة ما يقوم الكبار في المنازل الهادئة بالتشجيع على عادات التواصل التالية وتطبيقها :

- يكونون سعداء بمجرد رؤية أحد أفراد العائلة يدخل أى حجرة يكونون بها .
- يقومون بالترحيب بأى فرد يدخل أو يغادر المنزل ، أو توديعه .
- يقومون بالاطمئنان على أفراد العائلة بسؤالهم عن يومهم في المدرسة ، أو العمل ، أو الأنشطة الترفيهية .

- ينصتون إلى الإجابات والاستماع لما يقال ، والتعليق على الإجابات ، والمتابعة بطرح أسئلة أو تعليقات عندما يستحق الموقف المزيد من المناقشة .

وهذه أمثلة لعائلات تسود فيها أشكال سلبية للتواصل :

العائلة التنافسية : وفي هذه العائلة لابد أن يتنافس الأطفال من أجل جذب الاهتمام من خلال التصرف بطريقة سلبية ، وقوية ، ومسيطرة ، بقول أو فعل ما يمنحهم المزيد من اهتمام والديهم بصورة أكبر مما يحصل عليه الأطفال الآخرون . وقد كان منزل " جو " و" روز كيندى " يشبه هذا المنزل بكل المعايير ، حيث يصبح وقت العشاء مباراة لجذب الانتباه ويفوز بها الطفل الذى يتصرف بطريقة أكثر عدوانية .

العائلة الصامتة : وفيها نادراً ما يتكلم أفرادها أو يتناولون الطعام مع بعضهم أو يتعاملون مع بعضهم بأى شكل من الأشكال . وأحياناً يكون أفراد هذه العائلة مرهقين لدرجة تعجزهم عن شعورهم ببعضهم بعضاً . وأحياناً يكونون حانقين جداً لحدوث أى شيء مبهج في العالم الخارجى . وفي أحيان أخرى لا يكون لدى الآباء أية فكرة عن كيفية تقديم أى نوع آخر من التعايش مع البيئة الخارجية بسبب أنهم أنفسهم نشأوا في عائلات صامتة .

العائلة القاسية : وأفراد هذا النوع من العائلات يستخدمون المنزل كمتنفس للتعبير عن مشاعرهم الغاضبة . نحن لا نعنى أن هذا المنزل يؤذى أفراده ، وإنما السبب هو أنه يكون مغموراً بمشاعر الغضب التى تفسد جو المنزل كله . فأفراد هذه العائلة يتحدثون مع بعضهم بوقاحة إن حدث وتكلموا مع بعضهم . أما إذا توقفوا فجأة عن الوقاحة ؛ فإنهم نادراً ما يتلفظون بكلمة مبهجة . وأحياناً ما يتم كبت الغضب في مثل هذا النوع من العائلات لصبه على فرد ذى حظ عاثر من

أفرادها . وتلمح " مارى تيلر مـور " في سـيرتـها الذاتيـة إلى أن عائلتـهـا فى الطفولة كانت متنفساً لصب غضب والدها الذى كانـت النسـاء في عائلتها تعاملنه بفتور .

العائلة العصبية : إذا كان واحد أو أكثر من الراشدين ، أو ممثلـى السـلطة في عائلـة يتصـف بمـا يسـمى تجـاوزاً بالأعصـاب الضـعيفة ، ويدخل في انفجار من نوبات الغضب أو نوبات من التـنفس بتـوتر ، أو أى مظاهر أخرى غير مبهجة ، فإن الكـثير مـن الأفـراد الآخـرين فـى الأسرة سيصابون " بعدوى " تهيج الأعصـاب الضـعيفة كمـا لـو كانـت نزلة برد ، ويقومون إما باتخاذ جانب الحيطـة والحـذر ، أو التصـرف بطريقة مماثلة تماماً . فقد يقابل سؤالاً بسيطًا مثل : " كيف حالك ؟ " بسؤال يغلب عليه الشك مثل : " لماذا تسأل ؟ " وكل فرد يخـاف مـن أن تُقابل أتفه الأخطاء مـن جانبـه بثـورة . ويقـال أيضـاً إن مثـل هـذه العائلات تكون عصبية المـزاج أو متـوترة ، أو " غريبـة الأطـوار " كمـا وصفت " ألى ماكجرو " عائلتها ذات مرة ، وتقول " باتى ديفيز " ابنـة " رونالد " ، و " نانسى ريجان " إنـها قضت طفولتها في منزل عصـبى المزاج .

فجميع هذه المنازل تم تقديمها حسب معايير العـائلات . وجميعـهـا يربون أطفالهم على الرد الوقح ، لأنـهم جميعاً يريـدون ذلـك النـوع مـن العداء الموجود في الرد الوقح حتى يشعروا بالانتماء ، والأهميـة بطريقـة سلبية . وإذا كانت عائلتك مثالاً مشابهاً كثيراً للأنماط المذكورة مسبقاً ، فإنك قد تحتاج لمساعدة تمتد إلى ما هو أبعد مـن هـدف هـذا الكتـاب . ولكنك من خلال ذلك تستطيع توظيـف طاقتـك في التصـرف بـدلاً مـن المعاناة .

عداد منزلك ليكون خالياً من الرد الوقح

كيف تستطيع تحويل منزلك إلى بيئة أكثر إيجابية لجميع أفراد العائلة ؟ توجد طرق عديدة ، ولكن أهم هذه الطرق : تقرير أن البالغين مسئولون عن تهيئة الحالة النفسية فى المنزل ، وجعلها إيجابية . وهذه بعض الطرق لتحقيق هذا :

- امكث بالمنزل أطول فترة ممكنة . وتقول " ناعومى جود " إن أحد الأشياء التى كانت تحبها في أمها أنها " كانت دائماً متواجدة بالمنزل " .
- أظهر السعادة عند دخول أى أحد في المنزل . وقم بالمعانقة والترحيب ، والابتسام لكل من يدخل المنزل .
- قم بسؤال الأشخاص عن أحوالهم ، وأحوال أعمالهم . وتذكر ما يشغل بالهم ؛ لكى تكون الأسئلة مناسبة لحياة كل شخص على حدة .
- اهتم بأعياد ميلاد أفراد الأسرة ، والمناسبات المهمة الأخرى بتقديم وجبات خاصة ، أو تذكارات صغيرة تدل على التقدير . وقد تكون الهدايا بسيطة جداً لكنها ممتعة - إننا نعرف إحدى الأمهات يتنافس أفراد عائلتها على الذى يستطيع أن يقدم أغلى هدايا عيد الميلاد الموجودة بالسوق - حتى يُشعِروا الشخص الذى يتم تكريمه بالخصوصية ، والتميز .
- اجعل من العشاء مناسبة مهمة ، فأوكل لكل فرد وظيفة يقوم بها في تجهيز الطعام . وإذا لم يكن هذا ممكناً طوال الأسبوع ، فقم بالإعداد مسبقاً لوجبات خاصة في عطلة نهاية الأسبوع .

- تأكد من مشاركة كل فرد في العناية بالمنزل ورعايته ؛ فينبغى أن يكون لكل فرد وظيفة حقيقية يجب أداؤها ويتم تقييمها من قبل الآخرين .
- قم بتغيير أى سلوك من شأنه التسبب في شعور عائلتك بالحزن ، وبمقدورك تغييره وذلك مثل الرد الوقح لأطفالك . ولا يجب أن تنتظر حتى البدء في التعامل مع الرد الوقح ، بل قم على الفور بوضع برنامج الخطوات الأربع والتزم به . عندما يلتزم أحد الوالدين أو كلاهما ببرنامج التعامل مع الرد الوقح ؛ فإن الأطفال بالفعل يبدون احترامهم لعائلتهم حيث يتخذون موقفاً بأن هذا المنزل من الآن فصاعداً لابد من تقديره الملائم ، وعدم إفساد جوه العائلى ، وأن المشاركة في الحياة العائلية ميزة لا تقدر . وعندما يرى الأطفال أن آباءهم يلتزمون بالعمل بالبرنامج ، فإنهم عادةً ما يؤدى بهم ذلك لاحترام العائلة بطرق تجعل المنزل مكاناً أكثر إسعاداً لهم .
- اعلم مدى أهمية عائلتك بالنسبة لك . وتذكر كل المتعة التى تشعر بها مع كل فرد فيها .

اجعل أطفالك يشعروا بالانتماء

- راقب ما يساهم به الأطفال في العناية بالمنزل وأى تقدم يحرزونه في المهام المعهودة إليهم . قل على سبيل المثال : " لقد أديت عملاً رائعاً فى ترتيب المنزل هذا

الصباح وأنا أقدر مساعدتك ! " .

- قم برسم مخططات زاهية الألوان بها جدول أعمال كل فرد موضحاً دوره في أعمال المنزل .
- اسمح للأطفال بوضع إشارة أمام كل مهمة أنجزوها من بين المهام على المخطط .
- قم بالتخطيط لنزهات عائلية منتظمة كالذهاب إلى متاجر بيع الحلوى المثلجة ، أو المكتبة أو المتاحف .
- قم بتكوين نادى كتب للعائلة بحيث تخصص لكل فرد كتباً يقرؤها ، ويناقشها في اجتماعات منتظمة .
- قم بالتخطيط لتعليم العائلة فنون الطهى حتى يستطيع جميع من فى العائلة المساعدة في إعداد الطعام منذ سن مبكرة .
- دع الأطفال يخططوا لتنزهات العائلة لمدة شهر . وحدد لهم الحدود المتوفرة من المال والمكان ، ليعملوا في نطاقها .
- دع العائلة تسجل شريط فيديو كنوع من الذكرى أثناء الأعياد ، واسأل أصدقاءك وأفراد العائلة من الكبار عما كانوا يفعلونه وهم صغار من أجل الحصول على المتعة .
- ساعد أطفالك على تنظيم جولات لتوزيع الملابس واللعب القديمة على أطفال الملاجئ .

والعديد من هذه الاقتراحات يساعدك على خلق وظائف لكل أفراد العائلة ، بينما الاقتراحات الأخرى مثل التنزهات تحتوى على نتائج ضمنية ـ وتتمثل فى فقدان بعض المتع العائلية نتيجة الرد الوقح .



تقوية عزيمتك

سيقوم كل فرد على معرفة بك باختبار موقفك من الرد الوقح . فسوف يحاول الناس أن يحولوا دون هذا التغيير من خلال إخبارك بما يلى :

- ليس لديك الحق في التغيير .
- إنك تكون رائعاً فقط عندما تكون على طبيعتك .
- إنك تبالغ في الرد على الكلام الوقح .
- ليس لديك الحق في فرض معاييرك على أطفالك .
- إنك تصبح حاداً للغاية عندما تكون غاضباً ، ولكن لا يمكن أن تؤخذ مأخذ الجد .

كما سيتم تجريب بعض الحيل الأخرى عليك ، وستتحول الاتجاهات التى تصحب هذه المحاولات لتمنعك من التغيير من مجرد دعابة لطيفة إلى موجة غضب . وسيكون من الواجب عليك تجاهلها جميعاً ! (وسوف تجد في الفصل السادس المزيد عن مدى محاولة الآخرين لتدمير موقفك تجاه الرد الوقح) .

وفي جميع الأحوال ، كن مستعداً للدفاع عن نفسك ومعتقداتك ، وقد يفيدك أن تتذكر أن المنزل مثل المسرح ـ فأنت المخرج ومصمم المناظر ، وأنت الذى تقرر الجو الذى تحب أن يسود في المنزل ـ أو إذا كنت تفضل يمكنك اعتبار منزلك كمطعم تمتد فيه لمساتك الجمالية إلى سلوكيات طاقم العمل تجاه بعضهم البعض وتجاه الزبائن . إنك من يختار نوع الحالة النفسية التى تسود في مطعمك ، وبالمثل ، تستطيع أنت فقط اختيار الحالة النفسية التى تسود بين أفراد عائلتك بطريقة واعية ، وواضحة ، ومعدة مسبقاً .

الإعلان عن التغيرات

تستطيع توضيح موقفك تجاه الرد الوقح خلال أحد اجتماعات العائلة إذا رأيت ضرورة ذلك . ولكن تذكر : إن توضيحك هو مجرد توضيح وليس مناقشة ، فقم به سريعاً وبوضوح ثم انتقل على الفور إلى موضوع آخر . وإذا كنت تكره التوضيحات ، فابدأ بالتعامل مع الرد الوقح في كل موقف على حدة . وبعد المرة الثالثة أو الرابعة من تطبيق برنامج الخطوات الأربع سوف يستوعب الأطفال الفكرة . ولكن قبل أن تعلم أنهم قد استوعبوها ، فإنهم سيحاولون أن يجعلوك تعتقد أنك جننت ، أو أنك تنتهك حقهم في أن يكونوا على سجيتهم من خلال سياستك الجديدة التى تجعلهم سلبيين وتابعين وليس لديهم أى مبرر للحياة الطبيعية ، وأنهم مثل العبيد المكرهين ... فلديك الفكرة الآن . وباختصار ، فإنهم سيحاولون فعل أى شيء يدفعك للشعور بالذنب .

وفي حالة حدوث هذا ، فإنه ينبغى أن تقوم بالمواقف التالية :

- حافظ على ابتهاجك ولا تبد أية شكوك .
- اجعل العقاب جاهزاً دائماً .
- لا تشعر بالاستياء إذا لم تثمر المحاولات الأولى لبرنامج الخطوات الأربع ؛ لأنها تؤتى ثمارها إن آجلاً أو عاجلاً .
- لا تتورط في نوبة غضب ، أو جدل ، أو توضيح . وكن مهذباً وحنوناً ولكن يجب أن تكون ثابتاً في نفس الوقت .

والاحتفاظ بسجل ـ من خلال استخدام دفتر العمل كما هو موضح في الفصل الخامس ـ سيوضح أهدافك لعائلتك . وسوف يُذكرك بأنك تستطيع توفير الحالة النفسية التى ترغب فيها

لعائلتك . وسوف يذكرك ذلك بأنك تستطيع تحقيق الجو النفسى الذى ترغب أن يسود منزلك .

تعلم إدارة العلاقات الأخوية

قد توجد واحدة أو أكثر من طرق الرد الوقح التالية بين أطفالك بالفعل :

- قد ينشر الابن الأكبر ، أو ذو النفوذ نغمة الرد الوقح في منزلك .
- قد يكون الطفل الأصغر في العائلة مثالاً للرد الوقح ؛ لأنه - دون الأطفال الآخرين - يسمح له بالإفلات بفعلته دون عقاب .
- قد يتعاون طفلان معاً ويتفقان على إثارة حفيظتك .

وعندما يرى الأطفال طريقة استجابتك لردهم الوقح ، فإنهم قد يكونون تحالفات جديدة ؛ فقد يقدمون أنفسهم على أنهم زمرة من الأيتام يحكمهم طاغية قاس . وقد يجتمعون مع بعضهم في مجموعات إشفاق على الذات . وقد يبدون مشاعر دافئة تجاه أحد الوالدين الذى يكون أقل ثباتاً على كبح الرد الوقح ، ويعاملونك أنت بفتور . وقد يحاول أحد الأطفال الفوز بعطفك ، وينقلب على الآخرين .

فيجب أن تدرك أن جميع هذه الطرق - حيل قوية للسيطرة عليك . وسوف يجرب أطفالك كل المناورات السياسية ، فالتزم باستخدام برنامج الخطوات الأربع مع جميع الأفراد ، والمجموعات ، والتحالفات .

التعامل مع الفروق العمرية

فى حين أن مبادئ برنامج الخطوات الأربع واحدة لجميع الأطفال ، إلا أنها قد ينتج عنها ردود أفعال مختلفة من الأطفال باختلاف أعمارهم . ولذا فقد يتغير استخدامك لبرنامج الخطوات الأربع قليلاً .

المرحلة العمرية من الثالثة وحتى الثامنة

قبل الوصول إلى سن الثالثة يميل كلام الأطفال إلى وضع الحدود مع الآخرين ، وإثبات التفرد ، واختبار العالم ، ومن ثم فلا يمكن اعتباره رداً وقحاً . ولكن عند بلوغ سن الثالثة تبدأ أشكال التواصل التى تحتاج إلى توجيه في التكون حيث يظهر الأطفال فى هذه السن رغبة ملحة في الانتماء للعائلة ، ولذا يجب تعليمهم أشكال السلوك الاجتماعى الذى يساعدهم على تحقيق هذا الهدف بطرق إيجابية .

التعرف على الرد الوقح : وأفضل قاعدة للتعرف عليه هى : إذا ما أثار الحديث ، أو نبرة الصوت ، أو الإيماءة استياءك ، فإنه يكون رداً وقحاً . إنه من غير المقبول من طفل عمره أربع سنوات أن يقول : " يالك من ممل ، إننى أكرهك " كما أنه من غير المقبول من فتى يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً أن يقول " يالك من حثالة " .

اختيار عقاب للرد الوقح : وأفضل عقاب للأطفال في هذه المرحلة السنية ممن يقومون بالرد الوقح يكون على الأرجح هو الإبعاد الفورى عن الأنشطة العائلية .

تطبيق العقاب : عند البدء في الرد الوقح ، قل بأسلوب بشوش مع تقليل رد فعلك الانفعالى : " كارل " هذا النوع من الحديث (أو

السلوك) غير مقبول في عائلتنا . وسلوكك هذا يوحى بأنك لا ترغب في البقاء معنا . يمكنك تغيير رأيك خلال عشرين دقيقة ، وإثبات أنك تريد أن تكون فرداً ينتمى للعائلة " ثم تقتاد " كارل " إلى حجرته وهو يصرخ .

أما الأطفال الآخرون الذين يقولون : إنهم لم يقصدوا أى شيء ؛ فإنك تستطيع الرد عليهم بقولك : " يجب أن يتعلم " كارل " طريقة الحديث المقبولة في عائلتنا . إنه لا يزال صغيراً وهذه طريقة جيدة لتعليمه " ثم تتجاهل الصراخ الصادر من حجرة " كارل " ، وكذلك الضجة العالية ، وصوت الأشياء التى ترتطم بالحائط . (ومع ذلك يجب الاهتمام عند سماع صوت تكسير زجاج أو شم رائحة دخان) . وبالطبع ستضطر للمعاناة بسبب تألمه ولكن النتيجة ستكون جديرة بأن تستحق كل هذا .

الانسحاب من النزاع : بمجرد أن يتم إبعاد " كارل " ، لا تهتم بصراخه الصادر من حجرة النوم ، وقم على الفور بإيجاد نشاط آخر لتصرف به اهتمام عائلتك وقد يفى أى شيء إيجابى بالغرض - مثل مناقشة الإعداد لحفلة عيد ميلاد قادمة ، أو التخطيط لرحلة في عطلة نهاية الأسبوع ، أو إعداد بعض الكعك ، أو أى شيء آخر يكون إيجابياً ومثمراً ويحول دون التركيز على " كارل " ، فالعائلة يجب أن ترى أن من بين عواقب الرد الوقح عدم الاستمتاع بالمشاركة في نشاطات جيدة .

المرحلة العمرية من التاسعة وحتى الحادية عشرة

التعرف على الرد الوقح : وعادة ما يصدر الرد الوقح في هذه الفئة العمرية ليشير إلى أن الشخص المتحدث بالرد الوقح يجد بك نقصاً ما :

" إنك غير لطيف تماما " .
" لا تستطيع إجبارى " .
" أم " دونى " دائماً ما تنظف منزلها طوال الوقت بمفردها " .
" تكسب أم " دونى " المزيد من المال . فلماذا لا تستطيعين ذلك ، قولى لى لماذا ؟ "

اختيار عقاب للرد الوقح : يجب أن تتعامل مع شكل الرد الوقح وليس مع مضمونه . وأياً كانت درجة الشعور بالألم الناتج عن هذا المضمون فلا يجب أن تعظم منه باستخدام جمل استنكارية مثل : " إننى أكسب المزيد من المال بل أكثر كثيراً من أم " توم " التى لا تعمل على الإطلاق ! " ، أو باستخدام جمل دفاعية مثل :" إذا لم أكن أعمل للحصول على المال . فإننى كنت سأداوم على تنظيف المنزل " .

ولكن يجب أن تقوم بسلب شيء ما ، أو الحرمان من ميزة طال انتظارها ، أو رفض منح الاستحسان الذى ينتظره الطفل . كل ما عليك هو أن تتأكد أن العقاب يرتبط منطقياً بالرد الوقح بطريقة أو بأخرى : " جون " مثل هذه الطريقة وهذه الكلمات غير مهذبة ، ونتيجة لذلك فإننى أشعر بعدم الرغبة في إضاعة الوقت والجهد لأفعل لك ما تريد . ولذا فقد قررت ألا أصحبك بالسيارة إلى منزل " جوى " هذه الليلة ، وسوف أتصل بوالدته لإلغاء الزيارة . ولا يجب أن يقال هذا بنبرة صوت توحى بالانتقام بل يجب التلفظ به كأمر واقع . إن استخدام الأسلوب الأول لن يعلم الطفل سوى محاولة التعامل معك على قدم المساواة . والحقيقة أن عدم الاحترام شيء جارح ، فلا تظهره لأحد ، ولا تقبله من الآخرين . ولذا ، فإنك في تلك اللحظة تكون غير مستعد للتسامح مع طفلك ، ولا ترغب في فعل أى شيء له .

تطبيق العقاب : بينما يصرخ " جون " ، يجب أن تتصل هاتفياً بوالدة " جوى " وتخبرها بأن سلوك " جون " ليس مهذباً ؛ ولذا فلن يتمكن من زيارة " جوى " . وعندما يصاعد " جون " من ثورته ، قم بالانتقال للخطوة الرابعة وهى إبعاده من الحجرة .

الانسحاب من النزاع : وبينما يستمر " جون " في الاحتجاج من داخل حجرته ، ابدأ بالحديث مع عائلتك عن الأنشطة المثيرة المقبلة ، أو افعل أى شيء بنفسك ـ كأن تقوم بالمشى ، أو تمهيد الفناء ، أو قراءة أحد الكتب .

المرحلة العمرية من الثانية عشرة وحتى الرابعة عشرة

التعرف على الرد الوقح : لقد أدرك المراهقون ليس فقط أنك لست مثالياً ولكنك سخيف أيضاً ، فغالباً ما يتضمن الرد الوقح من المراهقين عبارات تشعرك بالخجل ، مثل : " إنك لا تعرف أى شيء " ، أو " ليس لديك أية فكرة عن طريقة ارتداء الملابس (أو التزين أو شراء سيارة أو حسن التصرف) " . حيث يتم إخبارك أنك قد حوكمت ووجد أنك أحمق .

اختيار عقاب للرد الوقح : وأفضل عقاب هو الذى يكون منطقياً وينطوى على سلوك يُشعر المراهقين أنك لن تستطيع الإقدام عليه . على سبيل المثال ، كان في قصة الحالة الأولى (المقدمة) وهى قصة المراهق الذى كان يرد على أمه رداً وقحاً ـ وهو " ألا ترين أننى أشاهد العرض ؟ يا إلهى ! " عندما كانت تسأله عن الطريقة التى يرغبها في طهى البرجر ، كان العقاب المنطقي الذى يمكن للأم أن توقعه هو أن تخبر " جو " أن طريقته في الحديث غير مقبولة ثم تقوم بالتصرف الذى لا يتوقعه أبداً ، وهو أن تتركه بلا عشاء .

تطبيق العقاب : لا يجب إبداء أية هوادة ، فإنه قد نتج عن عجز " جو " في إخبار والدته عن طريقته المفضلة فى إعداد البرجر الخاص به حرمانه من الحصول على أى برجر . قد تقف الكثير من الأمهات مثل هذه الأم مهتاجة إلى أن يتنازل " جو " ويقول : " أفضله غير مطهو جيداً " ، أو " مطهو بشكل متوسط " ، أو " الأمر سيان بالنسبة لى " . ثم تقوم بطهى برجر " جو " ـ مما يعلم الأطفال الآخرين الرد بوقاحة على الأم بغرض الاستمتاع ، وإبراز من الذى يتحكم في الأمور .

الانسحاب من النزاع : كما ذكر سابقاً ، فإن الخطوة الرابعة تقتضى مواصلة أمور الحياة أثناء استمرار احتجاج من يقوم بالرد الوقح . ولكن هل تحيا حياة تستحق مواصلتها ؟ فمن المهم بشكل خاص أن يكون لديك حياة خاصة لطيفة في ظل وجود مراهقين . حيث لا يؤثر عليهم أى شيء أكثر من ذلك ، ومكمن الصعوبة هنا هى أن تكون والداً مكرساً نفسه لأبنائه ، ولكن ليس خاضعاً وليس لديك هدف سوى إسعاد أبنائك . وكلما أسرعت في صرف اهتمامك عمن يقوم بالرد الوقح إلى موضع آخرٍ في حياتك ، أصبح طفلك المراهق الذى يقوم بالرد الوقح أكثر إذعاناً . فإذا كان هناك أى شيء يهتم به ابنك المراهق ، فهو اهتمامه بحياة شخص آخر ـ وخاصة تلك الحياة التى يأبى صاحبها أن يجعله طرفاً فيها .

المرحلة العمرية من الخامسة عشرة وحتى العشرين

التعرف على الرد الوقح : تبدو الجمل الفظة القصيرة هى نوع الرد الوقح الذى يقوم به من هم في هذه المرحلة العمرية ، فليس من المستحب بين أترابهم أن يتحدثوا لآبائهم بأدب . إن أصوات الاستياء التى تدل على وقاحة من يصدرها ، والأصوات الغريبة التى تصدر أثناء

امتلاء الفم بالطعام (وهى الحالة السائدة) ، أو استبدال الرد المتحضر بالسكوت المتعمد ، وكذلك إصرار المراهق على استخدام كلمات معينة تثير الاستياء مثل : " ألا تمنحنى فترة راحة ؟ " ، أو " ألا ترى مدى انشغالى ؟ " ، أو " تباً لست بحاجة لهذا ! " تنتمى كل هذه الأنواع من جمل النحيب إلى أكثر أنواع الرد الوقح الخفى بعثاً على الضيق .

اختيار عقاب للرد الوقح : من الصعب التعامل مع مراهقى هذه المرحلة العمرية ؛ لأنهم قد اعتادوا منذ البداية على الإفلات بفعلتهم بلا أى عقاب . وإذا كان عليك أن تبدأ في التعامل مع ردهم الوقح - فيجب أن تفكر فى أنك توفر لهم جميع احتياجاتهم من مسكن ، وملبس ، واهتمام ، ورعاية ، وتلفاز ، وحاسوب ، وملاءات نظيفة ، وأى شيء تعتقد فى أهميته بالنسبة لهم . واحتفظ في عقلك بفكرتين راسختين وهما :

أولاً : أنك توفر جميع تلك المنافع ؛ لأن بمقدورك ذلك وتفعله بإرادتك ، وثانياً : إنها عائلتك . أخبر ابنك على الفور أن الرد الوقح يضيع جهدك ووقتك . وقبل أن يتمكن من قول : " ذلك شأنك أنت " أو أى شيء يشبهه من الرد غير المهذب ، أضف إلى ذلك أنك لا ترغب في إضاعة جهدك ووقتك في عمل شيء يرغب فيه ، مثل إحضار الساكسفون الخاص به من محل التصليح ، أو دعوة صديقه لتناول العشاء .

تطبيق العقاب : لا تقم بإحضار الساكسفون ، واطلب منه أن يخبر صديقه أنه تم إلغاء دعوة العشاء . وقم بعمل قائمة سريعة للأشياء الأخرى التى كنت تخطط في منحه إياها ليكون لديك المزيد من العقوبات لاستخدامها عند الضرورة .

الانسحاب من النزاع : لا تلق بالاً لاحتجاجاته بأنه لا يوجد شيء في الحياة يستحق وقتك وجهدك أكثر من ابنك بغض النظر عما يفعله ذلك الابن . ومن الأفضل أثناء التعامل مع تلك الفئة العمرية أن تداوم

الحديث عن حياتك التى تريدها بعيداً عـن الـرد الـوقح . ودع المراهـق يعرف ما تفعله وما تستمتع به . واستمر حتى توضح أسـلوب التواصـل الذى ترغب فيه من ابنك الذى يقف على أعتاب مرحلة النضوج .

لا تتبع أسلوباً مختلفاً مع الفتيات عمـا تتبعـه مـع البـنين ، فـالرد الوقح هو رد وقح بغض النظر عمن الذى يقوله .



٥
دفتر العمل

إذا احتفظت بدفتر عمل ، فإنك ستقوم بتأليف كتاب شخصى خاص بك عن الرد الوقح . وسيكون بمقدورك تتبع تطبيقاتك لبرنامج الخطوات الأربع ، ومشاعرك عن مدى فاعليته ، وكذلك قائمتك التى تشمل العقوبات المجدية ، وغير المجدية ، وأنواع الرد الوقح التى يجربها أطفالك وكذلك الوسائل التى تقوم باختيارها - أى الأشخاص الذين تستطيع الاتصال بهم ، والكتب التى تستطيع قراءتها إذا رغبت فى ذلك .

وبمقدورك بالطبع أن تطبق برنامج الرد الوقح دون الاحتفاظ بدفتر عمل ، ولكنك إذا احتفظت به فإن رد فعلك سيكون أكثر ثباتا ، وتشعر بالمزيد من السيطرة .

ولكن من الضرورى أن نوجه تحذيراً مهما قبل أن تواصل قراءة هذا الفصل .

تحذير : هذه المفكرة مخصصة للرد الوقح فقط ، فلا تسجل مشاعرك ، أو تعاملاتك مع إهمال أطفالك للحيوان الأليف ، أو اعتداء الإخوة على بعضهم ، أو الكتابة بالألوان على الحوائط حتى وإن بدا أن أياً من هذه السلوكيات ذو علاقة بالرد الوقح .

ولم لا ؟ السبب الأول هو أن القضاء على الرد الوقح غالباً ما يقضى على الأنواع الأخرى غير المقبولة من السلوك أيضاً . وثانيا : إنه من الأفضل كثيراً أن تتعامل مع نوع واحد من السلوك تعاملاً شاملاً بدلاً من التعامل مع نوعين أو أكثر باجتهاد أقل .

طريقة إعداد دفتر العمل

يفى أى دفتر ملاحظات بالغرض ، ولكن ينبغى أن يكون من الممكن إضافة أوراق إلى ذلك الدفتر عند الضرورة .

اتخذ وقتاً منتظماً للكتابة فى دفتر الملاحظات ، كأن تكتب فى المساء بعد أن يذهب الأطفال للفراش إذا كنت من المحبين للسهر ، أو تكتب فى الصباح قبل أن ينهضوا من فراشهم ، أو بعد أن يذهبوا للمدرسة إذا كنت أكثر نشاطاً فى الصباح .

كما تستطيع الكتابة فى دفتر الملاحظات بعد كل موقف ، مسجلاً أى تطور بمجرد حدوثه ، والعقوبات التى تفكر فيها . وكذلك المصادر التى يمكنك الاعتماد عليها وقت اكتشافها . ولكن حافظ على ثبات الوقت اليومى لدفتر العمل إذا كان هذا الأمر ممكناً .

قم بتدوين التاريخ على كل ما تكتبه . وسوف تجد أن هذه عادة لا تقدر بثمن عندما تقرأ ما كتبته بعد ذلك بأيام ، أو أسابيع . وسوف تفكر قائلاً : " هل كنت أشعر بهذا السوء فى ذلك الوقت ؟ " ولكن إذا كان ما كتبته بلا تاريخ ؛ فإنك لن تعرف بالفعل متى كان " ذلك الوقت " .

البدء في دفتر العمل

تأكد من وضع قائمة بالعناصر الأساسية التالية للتعامل مع الرد الوقح :

١. صف بإيجاز ما حدث أثناء الرد الوقح ، والشعور الذى كنت تشعر به ، وسببه .
٢. قم بذكر ما فعلته كنتيجة ، بما فى ذلك نبرة صوتك رداً على الرد الوقح .
٣. صف ما فعلته للانسحاب من أى رد فعل اتخذته تجاه العقاب .
٤. صف ما حدث بعد الانسحاب وما فعلته كاستجابة .
٥. قم بتقييم العملية ككل بما فى ذلك ما كان باستطاعتك فعله بطريقة مختلفة .

وهذا نموذج بسيط يوضح ما نقصده :

١٣ يناير :

١. **ما حدث .** عندما كنت أحضر ابنى من المدرسة ، سألته كيف كان يومك . فأجاب " تشوكى " ساخراً : " دائماً ما تسألينى هذا السؤال ، ألم تملى من ذلك يا أمى ! " فشعرت أن مشاعرى جرحت بالإحباط ؛ لأننى كنت أتمنى كثيراً أن يكون بمقدور كل منا أن يتحدث إلى الآخر بطريقة مهذبة .
٢. **العقوبة .** أخبرت " تشوكى " إننى شعرت بجرح فى مشاعرى ، واستيائى نتيجة تعليقه ، ولذا فلن أضيع

الوقت والجهد فيما بعد لكى أوصله إلى تدريب الفرقة الموسيقية . وتكلمت به كأمر واقع .

٣. **الانسحاب** . عندما نظر " تشوكى " إلىَّ فى شك ، قمت بتشغيل المذياع وبدأت فى الغناء معه بهدوء ، متجاهلة نظراته .

٤. **ما حدث بعد الانسحاب** . قام " تشوكى " بالتوضيح بشكل لطيف أنه يجب عليه الذهاب إلى تدريب الفرقة الموسيقية الليلة ؛ لأن عليه أن يقوم بعزف منفرد ، فقلت إنه يمكنه التدريب غداً فى المدرسة .

٥. **التقييم** . لقد تجاهلت محاولات " تشوكى " لحملى على تغيير رأيى على الرغم من أنه كان مهذباً . وقد أجدى هذا فلم أقم بتبرير قرارى ، أو بالعودة للمناقشة . لقد تصرفت بشكل صحيح .

وهذا مثال آخر :

١٥ يناير :

التعرف على الرد الوقح : ما كدت أدخل المنزل بعد العودة من العمل ، حتى أخبرتنى " كارى " أنه لا توجد بالمنزل وجبة " كريستال لايت " الخاصة بالحمية الغذائية وطلبت منى معرفة سبب نسيانى شرائها عندما طلبت منى ذلك بوجه الخصوص ، وبلا أى توقف سألتنى كيف يمكنها الاستمرار على حميتها الغذائية بدون هذه الوجبة . وتحدثت بكل هذا بطريقة سيئة وهى تدور بمقلتى عينيها وتهز كتفيها استهجاناً ، فقد كان الحديث كله يدور فى إطار غير مهذب . وقد شعرت بالاستياء نتيجة معاملتها السيئة .

العقاب : قررت ألا أصحبها إلى المركز التجارى بعد العشاء لتقابل صديقتها " آنى " فقد قلت لها : " كارى " حديثك يوحى بعدم الاحترام . وأرى أن طاقتى قد نفدت ونتيجة لذلك فإننى لن أصحبك بالسيارة إلى المركز التجارى كما كان مخططاً ، فأنا متعبة .

الانسحاب : تجاهلت صرخات " كارى " ؛ فقد كانت تصرخ بكل معنى الكلمة ، وأخبرتها أنها إذا استمرت فى الصراخ فسأتركها وأذهب لأداء بعض الأعمال فى الفناء ، فتوقفت عن الصراخ ولكنها كانت فاترة وعابسة الوجه طوال تناول العشاء . وقد تجاهلت هذا السلوك .

ما حدث بعد الانسحاب : تناولت " كارى " القليل من الطعام وأدت ما عليها من تنظيف للأطباق وبعد ذلك ذهبت إلى حجرتها وأدت واجبها المنزلى . ثم سألتنى عما إذا كنت سأغير رأيى بشأن اصطحابها للمركز التجارى فأخبرتها أننى لن أغير رأيى ، ولم تطلب " كارى " ذلك مرة أخرى ، بل قامت بالاتصال بـ " آنى " وأخبرتها أنها لن تتمكن من مقابلتها فى المركز التجارى .

التقييم : كان العقاب مناسباً تماماً ؛ فقد كانت طاقتى منخفضة تماماً عندما عدت من العمل ولم أكن أرغب فى استهلاك هذا القدر الضئيل من الطاقة فى التعامل مع الشعور بسوء المعاملة . وقد انسحبت من النزاع مع " كارى " بطريقة رائعة بعد أن قمت بتنفيذ العقاب . وكنت أتمنى ألا يصل الأمر إلى أن أخيرها بين التوقف عن الصراخ ، وبين خروجى من المنزل ، وإلا كان سينبغى علىَّ أن أغادر المنزل بمجرد بدئها فى الصراخ ، لذا فإننى لن أستخدم كلمة " إذا " بعد ذلك مرة أخرى .

احتفظ بقائمة للعقوبات

قم فى جزء آخر من الدفتر بتحديد جميع العقوبات التى تفكر فيها عندما تخطر ببالك لتكون جميعها جاهزة لديك فى أى وقت تحتاجها فيه . وإن شئت فقد تحمل معك دفتراً صغيراً للملاحظات فى حافظة نقودك لتدون فيه أفكار العقوبات التى تخطر ببالك طوال اليوم . ويصبح بإمكانك نقلها إلى دفتر العمل الخاص بك أثناء تدوينك للكتابات اليومية المعتادة :

وتذكر أن أفضل أنواع العقوبات تتضمن الأشياء التى تؤديها لأطفالك وتستهلك منك الوقت ، والمجهود ، والمال .

تحذير : لا تقلق إذا ما قامت النتائج بتقليص الأنشطة التى تعتقد أنها ضرورية لرفاهية أطفالك ، فمثل هذه الأنشطة مزايا وليست حقوقاً أو واجبات يدين بها الآباء لأطفالهم .

والمشكلة هى أن " تشوكى " يعلم أنك ترغب فى أن ينضم للفرقة الموسيقية مثلما يرغب هو فى ذلك لنفسه تماماً . لذا فهو متأكد أن باستطاعته معاملتك بطريقة غير مهذبة دون أن تتعرض أنشطته الموسيقية للخطر .

فهذا الافتراض ليس شيئاً صحياً سواء لك أو لـ " تشوكى " فإنه يجب أن يتعلم أن السلوك المهذب تجاهك له الأولوية على الأنشطة المفيدة له . قم باستخدام توصيله إلى تدريب الفرقة الموسيقية والأنشطة الأخرى التى تستهلك الوقت ، والمال لصالحك فى إيقاع العقوبات ، وبإمكانك أيضاً استخدام فريق التشجيع وفرقة الباليه ، والألعاب الرياضية ، وجميع الأنشطة خارج المناهج الدراسية ، والتى تستنزف الكثير من وقتك وجهدك .

وبينما تبدو هذه الأنشطة مفيدة ونافعة ومن متع الحياة ، إلا أنه يجب اعتبارها مزايا يفوز بها الأطفال ؛ فإنك سوف تصبح رهينة لهما

طوال الباقى من حياتهم معك ، بل والأسوأ من ذلك أن الأطفال سيكون بمقدورهم استخدام سلاح التوقف عن هذه الأنشطة كتهديد لك إذا لم تفعل لهم ما يريدون .

والشيء الرئيسى الذى يجب أن تتذكره عند اختيار عقوبة ما ، أن تكون تلك العقوبة مرتبطة ارتباطاً منطقياً بالرد الوقح . وإذا ما استهلك الرد الوقح مواردك ـ من وقت ، وجهد ، ومال ـ فإنك حينئذ لن يصبح لديك وقت ، أو جهد ، أو أية مصادر متبقية لأى شيء يرغبه ، ويتمناه أطفالك . لذا فإن العقاب يحدث كأمر واقع ، وليس كانتقام من جانبك .

وتذكر أيضاً أنه ينبغى تطبيق العقوبات المناسبة على الفور ، وينبغى كذلك أن تكون مدة العقوبة قصيرة . فإن اتخاذ قرار بأنك لن تقل " تشوكى " إلى تدريب الفرقة الموسيقية هو عقوبة منطقية ؛ لأنه رد عليك بوقاحة ، ولكن أن تقول له إنك لن تقله لمدة أسبوع ، فهذا غير المنطقى . لماذا تقرر أسبوعاً ؟ ولم لا يكون شهراً ؟ إنه يجب أن يعلم أنه إذا رد بوقاحة اليوم فإنه سيواجه نتيجة رده اليوم ، وإذا ما رد بوقاحة مرة أخرى غداً فإنه سيواجه نتيجة أخرى غداً وهكذا . وعندما لا تقوم بمد فترة العقوبة إلى ما بعد اليوم الذى حدث فيه الرد الوقح بالفعل ، فإنك تظهر اعتقادك بأن الغد قد يكون مختلفاً .

وقد تتساءل بقلق ماذا بشأن الأحداث المهمة فعلاً والتى تم الإعداد لها منذ فترات طويلة مثل العزف فى الحفلات الموسيقية ، ودورات مباريات الكاراتية الرسمية ؟ والحقيقة هى أنه كلما زادت أهمية الحدث ، أصبحت العقوبة أكثر فعالية .

ولكن ماذا فى حالة إذا كان على " تشوكى " أن يقوم بعزف منفرد أثناء الحفلة وأن جميع أعضاء فريق الغناء من الفرقة الموسيقية سيتأثرون سلباً إذا كانت نتيجة الرد الوقح لـ " تشوكى " هى عدم الانضمام للحفلة . فانظر للأمر بهذه الطريقة ، إن " تشوكى " هو الذى

اتخذ قراراً بالرد بوقاحة ولذا فإنه الشخص الوحيد ـ ولست أنت ـ الذى يجب عليه التوصل لطريقة يتعامل بها مع أعضاء فريق الغناء . إن وظيفتك التربوية كوالد أهم كثيراً من الفرقة الموسيقية . وإذا كان " تشوكى " مريضاً ، فإنه لم يكن لينضم للحفلة .

ولكن ماذا لو اختار " تشوكى " الرد الوقح قبل عشر دقائق فقط من مغادرتك لحضور حفل الفرقة الموسيقية وتنتظرك مجموعة ضخمة من أقاربك المستعدين للذهاب معك ؟ فى هذه الحالة ينبغى أن يكون عقاب " تشوكى " أن يبقى بالمنزل مع أى شخص ، بينما تصطحب باقى الأقارب إلى حفلة عشاء لطيفة . وإذا تعذر وجود شخص يبقى مع " تشوكى " ، فافعل هذا بنفسك (فكثيراً ما تتطلب الأبوة هذا النوع من التضحية) وترسل الآخرين للخروج لقضاء وقت لطيف . ونحن نقترح عليك أن تعد قائمة بجلساء الأطفال الذين يمكن الاعتماد عليهم فور الاتصال بهم .

تجاهل أية تعليقات بأن سلوك " تشوكى " هو ذنبك أو أنك متشدد للغاية أو أنك عصبى بعض الشيء وتفسد الأوقات اللطيفة للآخرين . وانسحب من النزاع مع " تشوكى " لحملك على العدول عن رأيك .

قل له : " " تشوكى " إن ذلك النوع من الحديث مرفوض تماماً ؛ لأنه يستنزف مجهودى ، ولذا فلن أصحبك إلى الحفل . وسوف تبقى بالمنزل " ، وتستطيع أن تقول لأقاربك : " نتيجة لرده الوقح ، فإن " تشوكى " لن يذهب للحفل . وسوف يبقى بالمنزل برفقة السيدة " هاربر " وهى تعيش فى البيت المقابل ، ويمكنها الحضور إلى هنا فى غضون خمس دقائق " . والشيء المهم الذى يجب أن تتذكره هنا هو أن عليك فقط أن تقوم بهذا الفعل على الفور . ولن يحاول " تشوكى " الرد بوقاحة مرة أخرى ؛ لأنه سيدرك أنك تعنى ما تقوله ، وأنك بالفعل ثابت على موقفك .

ولا تنس أبداً وعلى الدوام أنه : بعد الإعلان عن العقاب لا يجب عليك أبداً أن تعدل عن تطبيقه ، بغض النظر عما سيصبح عليه طفلك الوسيم الحنون .

وكن صارماً عندما تقيم تطبيقك للعقاب فى آخر جزء من الخطوة الرابعة . واعترف إذا كانت العقوبة غير مناسبة ، أو مفاجئة بما يكفى .

طريقة الاحتفاظ بمصادر الدعم

عندما تكون بالملعب ، أو فى اجتماع لمجموعة من الآباء وتقابل أشخاصاً يؤيدونك فى برنامجك للتعامل مع الرد الوقح ، فقم بتسجيل أسمائهم وأرقام هواتفهم فى الجزء الخاص بمصادر الدعم فى دفتر العمل الخاص بك . وعندما تقرأ قائمة الكتب الموجودة فى الفصل الثالث عشر ، قم بعمل مرجع بالمصادر المساعدة ، وكن متأكداً من تسجيل أرقام الصفحات الخاصة بكل مرجع .

وقم بتدوين أى شيء ، أو أى شخص آخر قد يساعدك . بل يمكنك أن تستعين أيضاً بعروض التلفاز ، أو الأفلام ، أو برامج الأقراص المدمجة التى تقدم وسائل فعالة للتغلب على الرد غير المهذب .

ختام القول بشأن الاحتفاظ بدفتر العمل

السبب فى تسمية دفتر العمل بهذا الاسم هو أنه يتطلب منك جهداً ، فبرنامج التعامل مع الرد الوقح بالكامل يتطلب منك جهداً ،

لأن المقصود منه هو أن تغير سلوكك فى الرد على طفلك . ودائماً ما يتطلب التغيير جهداً ؛ لأنه ليس جاهزاً أو سهلاً .

وكما ذكرنا آنفاً ، فإن توقيع العقوبة بسرعة فى المرة الأولى هو أصعب جزء فى العمل كله . ولكنك تستطيع فعل ذلك إذا تأكدت فى قرارة نفسك من الفوائد التى سيحققها لطفلك .

ولكن ماذا لو أخبرك أشخاص آخرون ممن تحترمهم ـ كالمعلمين ، والأقارب ، والأصدقاء ـ بأن موقفك تجاه الرد الوقح موقف خاطئ ؟ كن ثابتاً على موقفك وواصل القراءة !

٦

كيفية التعامل مع الكبار الذين يستنكرون موقفك تجاه الرد الوقح

يعتقد الكثيرون من الكبار أن الرد الوقح شيء مباح ، والبعض الآخر يعدونه أمراً طبيعياً بل أمراً صحياً . ويجب أن تعد العدة لمواجهة هؤلاء الأشخاص ، فبعضهم - مثل الأطباء النفسيين وكذلك الإخصائيين النفسيين - يمكن الاستغناء عن آرائهم لمصلحة ابنك ، وبإمكانك البحث عن آخرين ممن تتوافق آراؤهم بشأن الرد الوقح مع آرائك . والآخرون كالمعلمين ، والأزواج السابقين دعائم أساسية فى التربية دائماً . وسوف تتعلم فى هذا الفصل كيفية التعامل مع هؤلاء الكبار دون أن تسمح لهم بالتحدث معك عن تغيير مواقفك تجاه الرد الوقح .

المتخصصون فى الصحة العقلية

قامت أم شابة مؤخراً بالاتصال بإخصائية نفسية يستضيفها برنامج إذاعى حوارى . وكانت المشكلة على حد قولها هى " ثرثرة " ابنها الذى يبلغ من العمر عشرة أعوام .

فتساءلت الإخصائية النفسية قائلة : " مشكلته ماذا ؟ " وبدا بشكل واضح كما لو كانت لم تسمع بهذا المصطلح من قبل مطلقاً .

فأعادت الأم الجواب قائلة : " ثرثرته ، فإنه ينطق بأشياء غير ملائمة " .

فعاجلتها الإخصائية النفسية قائلة : " فلتذكرى لى مثالاً "

فقالت الأم : " حسناً ، أقرب مثال كان أثناء عطلة نهاية الأسبوع الماضى وفى حضور جميع أقاربنا حيث قال لى إننى حمقاء " .

فسألت الإخصائية النفسية : " ولماذا قال ذلك ؟ "

فردت الأم : " لقد طلبت منه أن يفعل شيئاً ما ولكنه قال فى الحال وأمام الجميع إننى حمقاء . ثم عاد وأخبر كل فرد على حدة بأننى حمقاء . وهذه هى الطريقة التى يتحدث بها طوال الوقت . وأنا أكره ذلك " .

وكانت الأم تعنى بقولها إن الصبى ثرثار ؛ أنه كان يرد رداً وقحاً وأنها تكره ذلك . وقد كانت هذه فرصة رائعة بالنسبة للإخصائية النفسية لتعالج مشكلة الرد الوقح .

ولكن بدلاً من ذلك ، سألت الأم عما فعلته لتجعل الصبى يعتقد أنها حمقاء ، فقد سألتها : " لماذا يناديك بالحمقاء ؟ أقصد ما هى الأشياء التى تفعلينها لتكونى فى نظره كالحمقاء ؟ فلنتحدث عن هذا الأمر ، فمن أين ينشأ الانطباع بأنك حمقاء ؟ "

فقالت الأم إنها لا تعلم ، وأنها لا تعتقد أنها كانت حمقاء ، وأن الصبى ينطق بمثل هذه الأشياء ؛ لأنه " ثرثار " .

فقالت الإخصائية النفسية : " حسنا ، انتظرى دقيقة الآن ! ولنتحدث عن سلوكك الذى يعتقد أنه أحمق . من يدرى ، فقد يكون هناك شيء ما فى تفكيرك ينبغى تغييره " .

وتوجد مشكلتان فى هذا الرد .

الأولى : أن هذه الإخصائية النفسية لم تتعامل مع أسلوب حديث الصبى بل كانت تتعامل مع مضمونه . وكانت تتمسك بإهانة واحدة فقط من بين إهانات كثيرة كان الطفل بلا شك يوجهها لأمه كل يوم ، وتحاول تحليل هذه الإهانة . ولكى نستخدم هذا النوع من التحليل مع كلِ رد وقح للطفل ، فإن الإهانات ستستمر على الدوام ، ولن تتوقف أبداً ؛ لأن الصبى فى الغالب يأتى بالجديد طوال الوقت .

الثانية : أن الإخصائية النفسية كانت تلمح إلى أن سلوك الأم قد تسبب إلى حدٍ ما فى أن يعتقد ابنها أنها حمقاء ، وأنه قد ينبغى عليها أن تعدل من سلوكها .

وهذا الاتجاه لن يعلم الصبى معاملة الآخرين بطريقة مهذبة ، بل سيعلمه أن على الآخرين أن يتصرفوا معه بحذر . وسوف تتعلم الأم أن تقلق بشأن التصرف " بحماقة " مرة أخرى .

ولكن موقف هذه الإخصائية النفسية إزاء الرد الوقح ـ والذى يصل إلى حد عدم الرغبة فى الاعتراف حتى بوجوده ، ناهيك عن أنه سلوك غير مهذب ـ موقف غير مفيد .

وترى بعض الكتب الخاصة بالتربية أن الرد الوقح شكل من أشكال التعبير عن الذات ، وهو يشيع بين الأطفال فى ثقافتنا . ويعتقد مؤلفو هذه الكتب أن هذا النوع من التعبير عن الذات هو أحد الأعراض للمشاكل النفسية الكامنة ، والتى ينبغى تشخيصها وعلاجها من قبل المتخصصين فى الصحة العقلية .

وكما توضح قصة الحالة التالية ، فإن الأطفال يتعلمون بسرعة كيفية استخدام العلاج كذريعة للتصرف بطريقة غير مهذبة .

قصة الحالة السابعة : كانت " جين " تعمل كجليسة أطفال لصالح إحدى الوكالات أثناء الليل ، بينما كانت تعمل فى وظيفة ذات راتب أقل بدار نشر فى " نيويورك سيتى " وقد كان من بين من تقوم برعايتهم صبيان توأمان عمرهما سبعة أعوام - وكانا رائعين فى المرات القليلة الأولى من رعايتها لهما ، وقد أخبرا والديهما أنهما يرغبان فى عودتها . إلا أنهما ذات ليلة ، أطلقا وابلاً من الذم ضد " جين " والذى كان يدل بوضوح على أنه رد وقح . وعندما أخبرتهما " جين " أنها لن تصبر على مثل هذا الأسلوب فى الحديث ، ردا بأن طبيبهما صرح بأنه من الجيد لهما أن يدرك الكبار ما يشعران به . فقالت " جين " وهى تشير إلى نفسها : " لست أنا ذلك الشخص الكبير " . وقد بدأت بعد هذه الملاحظة من جانب " جين " نوبة من الصراخ لم تنته إلا بتعب الصبيين ، وسقوطهما على الفراش ، واستسلامهما للنوم .

وفى وقت متأخر من ذلك الأسبوع ، اتصل مدير الوكالة بـ " جين " ليخبرها بأن طبيب الصبيين قد أخبر والديهما أن " جين " قد جعلت الصبيين فى الحالة التى كانا عليها قبل عام من علاجهما وأنه لا ينبغى أن يسمح لها أبداً بالجلوس معهما مرة أخرى .

وهذه الواقعة تقدم مثالاً جيداً عن مدى ما يستطيع الخبراء المتخصصون فى تربية الأطفال فعله لتشجيع الآباء لينسبوا لأطفالهم صفات مثالية ، ويطلقوا لهم العنان .

يجب أن يقوم العلاج بالتأكيد على احترام الآخرين ، وكذلك وضع أسس تساعد الأطفال على إظهار الاحترام فى سلوكهم وحديثهم .

ووظيفتك كوالد هى أن تضع الحدود ، وتعطى التعليمات ، وتعلم أطفالك كيفية الانتماء بطرق إيجابية . وأحد هذه الحدود التى يجب أن تعرفها هو أن الرد الوقح أمر مرفوض .

وإذا ما اصطحبت طفلك لمستشار متخصص فى التعامل مع مشاكل الرد الوقح ، فاطرح على نفسك الأسئلة التالية :

- هل يُسمح لك بتحديد الرد الوقح ؟ أم أن المعالج هو الذى يفعل ذلك الأمر لك ؟
- هل يقدر المعالج مشاعرك عندما تقول إنك لا تحب الطريقة التى يتحدث بها ابنك ، أى أنه يجعلك تشعر بالذنب لعدم قدرتك على حب سلوك ابنك ؟
- هل بمقدورك تنفيذ نصيحة الطبيب بنفسك ، أم أنك تتمنى لو انتقل إلى منزلك وعمل معك طوال اليوم .
- هل يحترم الطبيب ابنك ، ويتميز بالطيبة والحزم معه فى آن واحد ؟

وسوف تخبرك إجابات هذه الأسئلة عن مدى جودة فهم المعالج لموقفك ، وتأييده لك فى الرغبة فى منزل خال من الرد الوقح . وإذا لم يكن يؤيد موقفك ، فإنك قد تحتاج إلى التفكير فى أطباء آخرين يؤمنون بضرورة سيادة الاحترام المتبادل بين أفراد العائلة بدلاً من تلبية رغبة فرد واحد فقط .

المعلمون في المدرسة

يوجد الكثير من المعلمين الرائعين الذين تجبر شخصياتهم الرائعة الطلبة على عدم الرد غير المهذب ، ويثيرون السلوك المهذب فى الطلاب . وفي الوقت الذى يدخل فيه الطلاب فصول هؤلاء المعلمين ، فإنهم يعرفون الطريقة التى من المفترض أن يتصرفوا بها ، والمثير فى

الأمر أنهم يحاولون أن يتصرفوا بها ؛ لأنهم يرغبون في أن يكون لدى هؤلاء المعلمين انطباع جيد عنهم .

ولكن قد لا يؤيد المعلمون الآخرون موقفك إزاء الرد الوقح . ومثل هؤلاء المعلمين يمكن إدراجهم تحت الفئات التالية :

الصنف الرفيق الجيد : ويبدو هؤلاء المعلمون كما لو كانوا يستمتعون بالرد الوقح من الأطفال ؛ فهم يميلون للاعتقاد بأن الرد الوقح شيء ممتع (والذى غالباً ما يكون بطريقة ساخرة) ، ومشجع ، وعلامة على رغبة صحية للاستفهام عن المادة التى يدرسونها .

الصنف الذى يصر على أسنانه : وهذا النوع من المعلمين يستاء من الرد الوقح ويتعامل معه بتجاهل الطلاب الذين يقومون به .

الصنف المتساهل : وهؤلاء المعلمون يتساهلون مع الطلاب الذين يقومون بالرد الوقح (وغالباً على حساب الطلاب الآخرين) سواء كانوا يحبون الرد الوقح أو لا يحبونه ، ويفخرون بأنفسهم لقدرتهم على التعامل مع الرد الوقح كما لو كان حديثاً طبيعياً تماماً .

الصنف السلبى الذى يتحمل على مضض : وهذا النوع من المعلمين ـ الذى يتغاضى عن الرد الوقح تماماً ـ خائفون من قوة الطلاب الذين يقومون بالرد الوقح ، ولذا فإنهم يسمحون لهم بفرض سيطرتهم على الفصل من خلال تلك الوسائل غير المباشرة كالاستهزاء بتعليقات المعلم ، وكذلك رشقه بالإهانات غير المهذبة في الأوقات السيئة بالفعل ، والأوقات السعيدة في فصل هذا المعلم هى تلك الأوقات التى يتغيب فيها الطلاب من ذوى الرد الوقح . إلا أنه بحلول منتصف العام الدراسى يكون الأطفال الآخرون قد تعلموا فن الرد بوقاحة لتكون لهم السيطرة في ظل غياب المتسبب الأساسى فى المشكلة .

فجميع هذه الأنواع الأربعة من الاستجابة تساعد المعلمين في التغلب على الرد الوقح مؤقتاً . ولكى نكون منصفين ، يجب أن نقول إنهم بالفعل لا يمكنهم فعل أكثر مما يفعلونه . وقد تتسبب الوسائل الأكثر

فعالية في شكوى الآباء (نعم ، فالعديد من الآباء يشتكون إذا ادعى الطفل أنه يتم مخاطبته بشدة في المدرسة لأى سبب) ، أو حتى رفع دعوى قضائية ، واحتمال فقدان الوظيفة . ولكن تصرفات المعلمين قد تحقق للطفل صاحب الرد الوقح جذب انتباه زائداً ، أو حتى الإعجاب وأن سلوكه ليس له أية عواقب .

وهناك أيضاً معلمون آخرون يعتبرون الرد الوقح من الطلاب دليلاً على شعورهم بالإهمال بالمنزل . عندما كان طفل الدكتورة " ريكر " البالغ من العمر ثلاث سنوات يتسبب فى مشاكل فى الحضانة بسبب عدوانيته ، وسلوكه الذى يميل للسيطرة ، قالت لها المعلمة : إن هناك أشياء يمكنها فعلها فى المنزل لمساعدته ، مثل تخصيص بعض الوقت المميز لقضائه معه ، وتشجيعه على التعبير عن مشاعره بدلاً من مخاطبته بصوت مرتفع ، ولم تكن المعلمة قد علمت أن د. " ريكر " قد كرست حياتها لصالح ابنها ، فكانت تمكث بالمنزل طوال اليوم وتصطحبه لجميع الدروس ، والأنشطة الترفيهية وكانت تعانى من الإحباط الشديد نتيجة السماح له بالتعبير عن مشاعره .

إلا أنه يوجد سبب آخر يدعو المعلمين لتحمل الرد الوقح . ألا وهو تأثير الحركة التقدمية على المدارس . ولم تكن الحركة التقدمية هى التى تشجع على سيادة عدم الاحترام فى المدرسة ، بل كان سوء تفسير بعض أتباعها الذين كانوا يرون أن المدرسة ينبغى أن تمنح التلاميذ الحرية فى فعل ما يحلو لهم . وفيما مضى بدأت المدارس باعتبارها الأشكال التنظيمية والتعليمية النموذجية في العشرينيات من القرن الماضي في تطبيق هذه الفلسفات التعليمية البديلة ، فقد قام العديد منها ـ كطريقة للعملية التعليمية ـ بالسماح للطفل بتعلم ما يريد وقتما يريد ، ونادراً ما كانت تطلب منه تعلم أى شيء آخر . وكان يتم تشجيع المعلمين على امتداح أى قول أو فعل فردى يقوم به الطفل ، حتى وإن كانت تلك الأقوال أو الأفعال مزعجة أو خاطئة . على سبيل

المثال ، كان يتم امتداح أى محاولة لتهجى الكلمات على أنها محاولة " إبداعية " بغض النظر عن الخطأ في الهجاء . واليوم يتم إخبار الكثير من المعلمين أنهم إذا كانوا معلمين بارعين ، فإن الأطفال - في ظل هذه الظروف المتساهلة - سيتعلمون المادة ويكونون متعاونين . وإذا لم يستطع المعلم إقناع الطفل بأن يتعلم ويكون متعاوناً ، فإن لديه خيارين : إما أن يلوم نفسه - حيث يستطيع أى فرد آخر - بدءاً من مدير المدرسة وحتى والدى الطفل - أن يشجعه على فعل ذلك ، أو أن يستطيع الحصول على تشخيص رسمى يفيد أن الطفل يعانى نوعاً من العجز التعليمى ، أو أنه يعانى من مشكلة انفعالية .

وإذا كان معلم طفلك يسمح بالرد الوقح في الفصل ، فإن بإمكانك أن تُعلمه كيفية تعاملك مع الرد الوقح للطفل بالمنزل . ومن الممكن أن تخبر طفلك بأنك لا تستطيع أن تتحكم فيما يفعله المعلمون في حصصهم ، ولكنك تأمل منه سلوكاً حميداً في كل من المنزل والمدرسة ، وأنه ستكون هناك عواقب للسلوك غير المهذب في المنزل .

الأقارب

إن العائلات الكبيرة التى تتبنى نفس المعتقدات عن تربية الطفل تعتبر شيئاً رائعاً ، فيستطيع الأطفال فيها الانتقال من منزل العمة ، أو الخالة إلى منزل ابن العم أو الخال أو إلى منزل الأجداد حيث يلقون الترحيب في كل مكان ؛ لأنهم يعرفون كيفية التصرف بلياقة في كل منزل .

إلا أنه قد يكون بعض الأقارب مصدر متعة لأطفالك ، ولكنهم يمثلون ثقلاً عليك ، ومن بينهم :

الخبير في تربية الطفل : وهؤلاء الأقارب يدعون المعرفة - بالفطرة فقط - بكيفية تربية أطفال الآخرين . وأية طريقة تختلف عن طرقهم فى التربية يواجهونها بانتقادات ويحاولون إفسادها .

الأقارب الذين يعتقدون أن الأطفال الذكور لا يخطئون مطلقاً : وهؤلاء الأقارب يعتقدون أن الوالدين - وخصوصاً الأمهات - ليس لديهم أى حق من أى نوع في كبح أى سلوك للطفل الذكر .

والقصة التالية توضح اهتمام إحدى الجدات بالطفل الذكر .

قصة الحالة الثامنة : قامت والدة " زينا " و " روب " بتربيتهما بطريقة غير عادلة . تقول " زينا " : " بوصفى فتاة ، كان من المفترض أن أكظم غيظي ، وأن أعمل من أجل الآخرين ، بينما كان غضب " روب " شيئاً يُخشى منه ولابد من تهدئته " . وتضيف قائلة : لقد كان " روب " أصغر منى بثلاثة أعوام وكان كل ما أسمعه من أمى أثناء سنوات طفولتى هو : " توقفى عن الانتحاب يا " زينا " ؛ فإنك تفسدين للآخرين كل شيء " . ولكن عندما كان " روب " يبكى ، كانت تقول : " أوه ، عزيزى الصغير " روب " مهتاج ، يجب أن أذهب وأعرف ما يريده " . لقد كانت طريقة حديث والدتها توحى بأن غضب " روب " هو خطأ " زينا " بطريقة أو بأخرى .

وكان أول مولود لـ " زينا " صبياً وتقول : " إنه كان ميالاً للسيطرة ، ويرد بطريقة غير مهذبة وهو في سن مبكرة ، وكانت أمها تقول إنه طفل رائع ويجدر بـ " زينا " أن تعامله كما كانت هى تعامل " روب " ولكن سرعان ما جعلها زوجها تدرك أنها إذا ما أنصتت لوالدتها ، فإن طفلها سيكون تماماً مثل " روب " الذى كان في ذلك الحين غارقاً في المشاكل وغير قادر على الاستمرار في أية وظيفة .

ووافقت " زينا " زوجها على ذلك وتجاهلت نصيحة والدتها بشأن تربية الطفل . وقد تعلم طفلها أن يكون مهذباً ، وهو الآن متزوج ولديه طفلة . وتقول " زينا " : " هل تصدق أنه في المرة الأولى التى يزور فيها

ابنى وزوجته وطفلتهما الصغيرة والدىّ ، ذُهلت والدتى ؛ لأنها كانت تعتقد أن الطفلة الرضيعة مهتاجة بشكل غير محتمل ومملة ، على الرغم من أن الطفلة كان عمرها آنذاك ثلاثة أسابيع فقط ! "

وهذه القصة تظهر أن الأقارب ـ وعن حسن نية ـ قد يكون لديهم رؤية مختلفة لأطفالك . وفي حالة والدة " زينا " تمثلت تلك الرؤية فى أنه يجب طاعة الصبية ، وألا يتركوا للشعور بالمعاناة أبداً ، وألا يحاسبوا أبداً عما ينطقون به . ولكن يجب تربية الفتيات على الطاعة ، والشعور بالذنب عند عدم الطاعة بشكل مناسب معظم الوقت .

إلا أنه وللعدل ، فإننا يجب أن نوضح أن بعض الأقارب يعكسون هذا التحيز الجنسى ، ويدللون الأطفال من الفتيات على حساب الصبية .

الأصهار : يعتقد بعض الأصهار أن طفلك يخصهم بالفعل لأن به بعض صفات الأشخاص في عائلتهم ، وأن دورك ينحصر فى الحضانة وفيما بعد التوجيه والإرشاد . ولأنك بالطبع فى نظرهم مجرد مساعد مستأجر ، فإنه ليس لديك الحق في تحديد الرد الوقح ، ناهيك عن التعامل معه . وقد قامت والدة زوج " كارين " عندما كانت طفلتها التى تبلغ أربعة أعوام مصابة بنوبة حادة من الصراخ بإخبارها قائلة : " لا تقومى بمنعها من الصراخ مطلقاً ما لم تفعل ذلك بنفسها ، إنها فقط تعبر عن شخصيتها والتى تشبه شخصيتى أكثر من شخصيتك ، ولذا فإننى أعرف ما تحتاج إليه بالفعل ! " .

الأجداد الودودون : وهذه الفئة العمرية التى تشاهد التلفاز معظم الوقت ـ حوالى أربعين ساعة أسبوعياً ـ تتكون من الرجال والنساء الذين تبلغ أعمارهم الخامسة والخمسين فأكثر . وكما سنرى في الفصل العاشر ، فإن المواقف الكوميدية بالتلفاز تزخر بالكثير من الرد الوقح للأطفال . وعندما سألت إحدى السيدات التى تبلغ ثلاثة وستين عاما

عن سبب إفراطها فى مشاهدة البرامج الكوميدية لمن هم في سن الرابعة عشرة (نعم الرابعة عشرة) ؛ فأجابت بضحكة خافتة حانية : " إن العائلات التى في هذه العروض لطيفة للغاية ، وهؤلاء الأطفال رائعون جداً مثل أحفادي تماماً " .

ولا تسأل عن السبب أنك ـ عندما كنت طفلاً ـ كان يُحظَر عليك الرد الوقح . والآن وبعد أن أصبح آباؤك أجداداً يرون أحفادهم أطفالا رائعين ، ويعتبرون الرد بوقاحة أمراً رائعاً وشجاعاً يستحق الحب ـ طالما أنه لم يُوجه إليهم . وهذا يعنى أن طفلك سيعتقد أنه سينجو برده الوقح على والديه في وجود أجداده الذين يقومون بحمايته .

وتواجه " ويلما " التى تبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً وأم لطفل اسمه " جيرى " يبلغ من العمر عامين والنصف هذه المشكلة عندما تتركه بمنزل والديها فترة بعد الظهيرة . فعندما تذهب لاصطحابه للعودة به للمنزل ، فإنه يصرخ فيها قائلاً : " اغربى عن وجهى " ويطلق عليها أسماء غير مهذبة . وعندما تخبره " ويلما " بأن هذه الطريقة في الحديث غير مقبولة تقول أمها بتودد وحب : " أوه ، إن " جيرى " الصغير لا يقصد أى شيء خطأ . إنه فقط لم يحصل على قيلولته بعد (أو لم يتناول طعام الغداء ، أو لم يحصل على نشاطه المعتاد بعد المدرسة ، أو بعض الوقت للعب في المتنزه ، أو إنه حزين فقط بسبب عودته للمنزل) " . ولا ينادى " جيرى " والدته بأسماء غير مهذبة أبداً وهو بالمنزل لأنه يعلم تماماً أنه سيواجه عقوبة لا يرغب فيها . ولكن عندما يكون بمنزل جده وجدته ، فإن له حرية التصرف تجاه كل شيء .

وينبغى أن تطبق " ويلما " برنامج الخطوات الأربع بلا تأخير . كما يجدر بها أن تتجاهل محاولات والديها للتدخل بينها وبين ابنها ، وتخبر " جيرى " مباشرة بأن رده غير المهذب غير مقبول ، ولذلك فإنها ستعود به إلى المنزل على الفور حتى على الرغم من أنها كانت

تخطط للبقاء فى الزيارة لفترة من الزمن . ولا ينبغى أن تتوقف لفعل أى شيء ممتع وهما في طريقهما للمنزل ، وإذا ما داومت على فعل هذا ، فإن الجدان سرعان ما سيساعدانها على تطبيق قانون يحظر الرد الوقح لأنهما سيريان أن ابنتهما جادة في هذا الأمر ، ولأنهما لا يرغبان في قطع زيارات " جيرى " لهما بعد وقت قصير .

إليك طريقتين للتغلب على تدخل الأقارب في برنامج للرد الوقح :

١. أخبر طفلك أن الأقارب لهم أفكارهم الخاصة بهم عما هو صواب ، ولكن قواعدك فقط هى التى يجب أخذها في الاعتبار .
٢. حافظ على الفصل بين قواعد أسرتك ، وقواعد أقاربك فقد وجدت " زينا " وزوجها أن هذه القاعدة مهمة في تربية ابنهما ليصبح بالغاً معتداً بذاته .

الأصدقاء

غالباً ، يكون الأصدقاء الذين كثيراً ما يستنكرون موقفك إزاء الرد الوقح بقوة هم الذين لا يرد أطفالهم بشكل غير مهذب أبداً ، أو يكونون من الذين يرد أطفالهم بوقاحة معظم الوقت . وقد يكون أصدقاؤك مثل " تريشيا " في القصة التالية ـ وهى من بين الذين ليس لديهم أطفال ، ويعتقدون أنهم يعرفون كل شيء يجب معرفته عن تربية الأطفال ويرون الرد الوقح نوعاً من الحديث الحر الذى يجب الصفح عنه مهما كان .

قصة الحالة التاسعة : قامت " هانا " وهى أم لتوأم تبلغان من العمر ستة أعوام بتطبيق برنامج الخطوات الأربع للتغلب على الرد الوقح . وكان منزلها فيما سبق عبارة عن مكان للرد الوقح ، ونوبات

الغضب ، ولكنه في ذلك الحين قد أصبح مكاناً لطيفاً وهادئاً . وكان زوجها " جاك " سعيداً بذلك الجو الجديد ، فقد أصبحت الفتاتان سارتين ، ونافعتين ، وتجتهدان في المدرسة ، ودروس الموسيقى .

ثم جاءت " تريشيا " صديقة " هانا " لزيارتها . وكانت " تريشيا " بارعة في سنوات عمرها الأولى ، ولم تتزوج مطلقاً ، ولم تنجب أطفالاً وكانت في ذلك الحين في إجازتها السنوية من عملها كأستاذة في كلية بواحدة من أرقى الجامعات . وكانت " هانا " متأكدة من أن " تريشيا " ستسر من السلوك الحسن الذى شبت عليه الفتاتان .

وفي اليوم الأول من زيارتها ، لعبت " تريشيا " مع التوأم بلا توقف تقريباً وقضت معهما وقتاً رائعاً . وفي نهاية اليوم قالت لـ " هانا " : " إننى أشعر وكأننى طفلة عمرها ستة أعوام " . ولكن في اليوم الثانى من زيارة " تريشيا " ، حاولت الفتاتان الرد بوقاحة ، فعندما أخبرتهما " هانا " أنه قد حان الوقت لإعداد المائدة ، قالت إحداهما : " لا تستطيعين إجبارى على فعل ذلك " ، ووافقتها الأخرى بقولها : " وأنا أيضاً " . وقد كانت هذه هى طريقتهما عندما تتحدثان لوالدتهما طوال الوقت في الماضى . ولكن في هذه المرة لم تتردد الأم في التعامل مع الرد الوقح ؛ فقامت بتطبيق العقوبة على الفور حيث قالت بهدوء : " هذه الطريقة في الحديث غير مقبولة ، ونتيجة لذلك فلن تتناولا طعام العشاء معنا وكذلك لن تذهبا معنا إلى مدينة الملاهى ، وسوف تجلس معكما السيدة " هاربر " " .

فصاحت " تريشيا " وهى تحتضن الفتاتين : " " هانا " اهدئى ، إنهما لم ترتكبا أى خطأ " . ولكن " هانا " كانت تعلم ما ينبغى عليها فعله إزاء كل ما يحول دون إتمام عملها الذى قامت به في العام الماضى ، فقامت باصطحاب الفتاتين إلى غرفتهما . وبمجرد عودتها للمطبخ بدأت في إعداد طعام العشاء محاولة أن تتجاهل نظرة

" تريشيا " التى بدا عليها الاستنكار ، وأخبرت " تريشيا " كأمر واقع قائلة : " هذه هى طريقتى الآن في التعامل مع الرد الوقح " ولكن " تريشيا " كانت مرعوبة ، فصرخت : " هيا يا " هانا " لا تكونى مستبدة ، فقد كانتا تمزحان معك ! "

وكانت " هانا " مستاءة ، فقد أحدث برنامج الخطوات الأربع فرقاً شاسعاً في حياتها . وقد كان مفهوماً أنها ترغب بشدة في أن توضح ذلك لصديقتها العزيزة ، ولكنها قررت ألا تحاول الدفاع عن نفسها فقالت بحزم : " إننى أقدر شعورك يا " تريشيا " ولكن هذه طريقتنا للتعامل مع الرد الوقح في منزلنا " . ثم قامت بالاتصال بالسيدة " هاربر " .

وحاولت " تريشيا " عدة مرات أثناء زيارتها إحباط استخدام " هانا " لبرنامج الخطوات الأربع . وبمعرفتهما أن صديقتهما الجديدة " تريشيا " ستقف بجانبهما دائماً ، فقد عادت التوأمان للعديد من عادات الرد الوقح السابقة .

إلا أن " هانا " لم تتردد قط في استخدامها للخطوات الأربع ، وأحست بارتياح عندما انتهت زيارة " تريشيا " وهى تعلم أن الأصدقاء قد يكون لديهم حسن نية وهم يقترحون أفكاراً في تربية الطفل ، ولكن لا ينبغى السماح لهم بالتدخل في الوسائل الفعالة .

وبعد شهر من رحيل " تريشيا " ، تلقت " هانا " مكافأة نظير مثابرتها . فقد تلقت رسالة إليكترونية من " تريشيا " تخبرها فيها بأنه خلال زيارتها لصديقة أخرى استغرقت أسبوعين وكان لهذه الصديقة ثلاثة أطفال ، وجدت " تريشيا " أن هؤلاء الأطفال " وقحين جداً بدرجة لا تصدق ، لدرجة أن المنزل كله كان خارج السيطرة " . وتضيف قائلة : " ولأننى حاولت أن أصبح صديقة لهؤلاء الأطفال ، فقد قام والداهم بعرضهم علىّ لمدة ثلاثة أيام ليخرجا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بمفردهما ! ولم أستطع تصديق ذلك ! يا له من حلم مزعج !

فقد كان الأطفال بغيضين ، ووقحين جداً معى طوال الوقت ، فأرجو أن تصفحى عنى لمعارضتى إياكِ " .

وكما يتضح من قصة " هانا " ، فإنه ينبغى ألا تتجادل مع الأصدقاء الذين يستنكرون برنامجك في مواجهة الرد الوقح ، وتجنب استنزاف طاقتك في محاولة إقناعهم بأن لديك حقاً للتعامل مع أطفالك . كما ينبغى أن تتجنب مثل هؤلاء الأصدقاء أو تقابلهم دون وجود أطفالك .

وإذا كان من المحتمل أن يشاهدك أصدقاؤك وأنت تطبق عقوبات الرد الوقح على أطفالك ، فإنه ينبغى أن تخبرهم مسبقاً عما قد يحدث ، وسبب القيام به . وقم بالتأكيد لهم أنه مهما كانت العقوبة - كأن تصطحب الطفل الذى يقوم بالرد الوقح إلى حجرته ، وتتجاهل احتجاجاته - من المحتمل أن تقطع محادثة ؛ فإنه لا ينبغى اعتبارها إشارة للصديق بأن يرحل ، وسوف تستأنف التفاعل الاجتماعى مرة أخرى بعد ذلك بوقت قصير .

أما بالنسبة للأصدقاء الذين لديهم أطفال ويعتقدون أنك تبالغ في الاهتمام بالتفاهات أو أنك تبالغ بدرجة غير سوية ، أو أنك غير كفؤ ، فما عليك إلا أن تتذكر أنه ليس عليهم أن يعايشوا أطفالك ، أو يقوموا بتربيتهم ، أو يكونوا مسئولين عن صفاتهم . قاوم الرغبة فى أن تقول لأصدقائك " ما عليكم سوى الانتظار ، فإنه سيجىء يوم ما على غير توقع منكم ، وسيقوم أطفالكم الأعزاء بالرد عليكم بوقاحة أيضاً " . ويجب أن تتجنب تعليقات الأصدقاء إلى أن تشعر بأنك أكثر براعة فٍي استخدام برنامج الرد الوقح . وفي جميع الأحوال ، لا تسمح لهم أبداً بتحديد أسس التواصل التى تريد وجودها في عائلتك .

الأزواج السابقون

بإمكانك دائماً إخبار زوجك السابق (زوجتك السابقة) بما يفعله لمواجهة الرد الوقح . وقد يكون الزوج السابق متعاوناً ، أو أكثر تساهلاً ، أو أشد صرامة ، وفي كل الأحوال ، فإنه يجب أن توضح لأطفالك أن باستطاعتهم أن يتعلموا التكيف مع مجموعتين مختلفتين من القوانين ـ قوانينك ، والقوانين الخاصة بالوالد الآخر .

وضحى لزوجك السابق أنه لكى تكون والداً مسئولاً بمفرده عن الأبناء ، فإنه يجب عليك الحفاظ على حياة خالية من الرد الوقح نسبيا ، وأنك ليس لديك الوقت للتعامل مع قلة الاحترام ، والسلوك المسبب للمشاكل ، والسلوكيات الأخرى لأطفالك التى تستنزف طاقتك . وقد لا يضطر زوجك السابق لتطبيق برنامجك بمنزله ، ولكن اطلبى منه أن يشجع الأطفال على احترام هذا البرنامج في منزلك .

جليسات الأطفال

حاول معرفة سبب استنكار جليسة الأطفال الخاصة بطفلك لموقفك إزاء الرد الوقح ، فمن المحتمل أنها تحب طفلك ، ولا تستطيع أن تتحمل رؤيته وهو مقيد بأية صورة . وربما تقوم برعاية أطفال آخرين أيضاً ، وتكون غير مقتصرة على الاهتمام بأطفالك فقط .

وأفضل حل للتغلب على هذه المشكلة هو البحث عن جليسة أخرى . ولكن إذا لم يكن هذا الحل متاحاً ، فقم بشرح برنامج الخطوات الأربع للجليسة الحالية ، وقم بتشجيعها على التعاون معك . وأخبرها بأنها ستستمتع مع طفلك بشكل أكبر إذا ما ساعدتك على تطبيق برنامج الخطوات الأربع بإخلاص قدر الإمكان .

وحاول التحدث معها من يوم لآخر ، أو شيء من هذا القبيل لتخبرها من خلال هذا الحديث بطريقة تطبيق البرنامج بالمنزل ، ولتستوضح منها عما إذا كانت تجد أى اختلاف في الرد الوقح لطفلك . وربما تدور المحادثة بطريقة مثل هذه :

أنت : مرحباً " ماري " أود أن أعرف عما إذا كان " جيمى " قد حاول الرد بوقاحة معك اليوم أم لا ؟
" **مارى** " : قليلاً ، عندما كان الأطفال الآخرون يردون بوقاحة كان يحاول أن يبدو مثلهم .
أنت : وماذا فعلت حينئذ ؟
" **مارى** " : بالنسبة للآخرين ، تركتهم وشأنهم . أما بالنسبة لـ " جيمى " فقد قمت بإبعاده عن الحجرة لبعض الوقت .
أنت : وما هى المدة التى مكثها بمفرده ؟
" **مارى** " : نصف ساعة .
أنت : وكيف كان سلوكه عند عودته ؟
" **مارى** " : أفضل كثيراً ، إننى أتمنى لو كان باستطاعتى فعل ذلك مع الأطفال الآخرين ، ولكنهم سيئون للغاية .
أنت : عمل رائع ! إنك بارعة في هذا ! لقد تطلب الأمر منى بذل مجهود مضن لأتمكن من تطبيق العقوبة بشكل جيد .

أو ربما تدور المحادثة بطريقة كهذه :

أنت : ماذا فعلت عندما قام " جيمى " بالرد بوقاحة ؟
" **مارى** " : لم يكن باستطاعتى فعل أى شيء . فقد كان هو والأطفال الآخرون مثل قطيع من كلاب الصيد .

أنـت : ربمـا تسـتطيعين في المـرة القادمـة توقيـع عقوبـة علـى " جيمى " وحده ، وهذا عن طريق إبعاده عـن الحجـرة لـبعض الوقت .

" **مارى** " : سوف يقول إنه لم يكن بأى حال أسوأ من الأطفال الآخرين .

أنت : حسناً ، بإمكانك أن تخبريه أنك تعرفين ما الذى كانت ستفعله والدته ؛ ولذا فإنك تفعلـين مثلـها . وسـوف يفهـم هـذا الموقف ، وأنا سأقدر ذلك .

" **مارى** " : سأحاول .

أنت : أعلم أنه أمر شاق ، ولكنك ستكتشفين مدى فعاليته .

" **مارى** " : سأحاول تذكر ذلك .

أنت : عظيم ، قومى بمحاولة واحـدة فقـط ، فإنـك سـتجدينها مثيرة حتى وإن لم تؤثر بشكل ملموس .

وفي هذه الأثناء ، استمر في البحث عن جليسة أطفال لـديها الرغبـة في احترام أمنياتك ، وتطبيق البرنامج مع أطفالك .

وكما أدركت لتوك ، فإن التعامل مع جميع هؤلاء الأشخاص الـذين يستنكرون موقفك يتطلب منك ثقة بالنفس ، فثق على الدوام في حكمك الشخصى وسوف تكون بارعاً . إن الأشخاص الآخرين ليس لديهم أيـة فكرة عما يحدث فعلاً في منزلك ، فأنت الشخص الوحيد الـذى يجـب أن يكون موجوداً ليحـدث تغـييرات . وأنـت الشـخص الوحيـد الـذى يلمس الأسلوب الذى يتحدث به أطفالك إليك .

٧

الآباء المنفصلون والرد الوقح

غالباً ما يواجه الآباء المنفصلون متاعب فى التغلب على الرد الوقح للأطفال أكثر مما يواجهه الآباء غير المنفصلين .

وهذه هى الأسباب :

١. غالباً ما ينشأ الأطفال الذين ينمون فى عائلات ذات آباء منفصلين على أنهم أصدقاء لآبائهم ، ولهم كلمتهم المسموعة فى هذه العلاقة . وهذه ميزة أكبر من أن يستطيع الأطفال التعامل معها ، أو أن يحتاجوا إليها ؛ فإنهم يحاولون أن يتصرفوا كأشخاص بالغين بما يكفى ليكونوا بمثابة الرفيق لوالدهم ، ولكن ترجمتهم للجواب السريع المُقنع الذى يميز أسلوب الأشخاص البالغين تكون بمثابة رد وقح بالفعل .
٢. كثيراً ما يشعر أطفال الآباء المنفصلين بالاستياء تجاه الكثير من الأشياء ، على سبيل المثال :

- ليس لديهم والدان يعيشان معاً .
- لا يرون والدهم الذى يقوم بحضانتهم أو الوالد الآخر كثيراً كما يرغبون .
- يجب عليهم التصرف مثل الأب أو الأم الذى يعيشون معه فى حين أنهم يفضلون قضاء الوقت بلا عمل .
- لا يحصلون على المال الكافى .
- لا يحصلون على الاهتمام الكافى .

وهذا لا يعنى أن مثل هذه التحديات أمر سيئ (فغالباً ما يتطور لدى الأطفال إحساس بالمسئولية يثير الإعجاب) ولكن قد تتسبب أوجه القصور فى إشعار الطفل بالاستياء ، الذى قد يعبر عنه من خلال الرد الوقح .

٣. غالباً ما يكون أصدقاء الأطفال ذوى الآباء المنفصلين هم أيضاً أطفال لآباء منفصلين . وتميل هذه المجموعات من الأصدقاء إلى تأييد بعضهم بعضاً ، بل والتشجيع على الرد بوقاحة .
٤. عادة ما يكون الرد الوقح لأطفال الآباء المنفصلين نشطاً ، فكثيراً ما يشعر الوالد المنفصل بالتعب الشديد ، والوحدة ، والقلق ، ويشعر بالذنب كذلك ؛ لأنه يرى بطريقة أو بأخرى أن الرد الوقح للطفل هو خطؤه بطريقة ما ؛ ولذا يستسلم لأى شيء يهدف إليه هذا الرد ويقوم بأدائه .
٥. لا يجد الآباء المنفصلون شخصاً بالمنزل ليستشيروه بشأن سلوك الأطفال ، ومن ثم فإن الوالد قد لا يدرك أن ذلك الرد

الوقح لا يمثل أى شيء آخر سوى الحديث العادى ، وهذا لأنه ليس هناك شخص مقرب إليه يخبره بذلك .

٦. قد يصبح الإعجاب التام بالطفل من قِبل الأب المنفصل غير معقول إلى حد بعيد لدرجة أن يعتقد أن الرد الوقح هو شيء رائع مثل أى شيء آخر يقوله الطفل . والشعور الشديد بالألم الذى ينتج عن الرد الوقح يطغى عليه الحب الشديد للطفل .

ولكن أياً من هذه الأسباب لا يجعل من الرد الوقح أمراً مقبولاً . وفى الحقيقة فإن أطفال الآباء المنفصلين على وجه الخصوص بحاجة ليعرفوا أن الرد الوقح غير مسموح به . إن عليهم أن يشقوا طريقهم فى الحياة مستعينين بمساعدة أقل من تلك التى يحصل عليها الأطفال الآخرون ، ولذا فإنهم على وجه الخصوص بحاجة لإدراك أن الرد الوقح لا يعزز من فرص السعادة ، والنجاح بل يعوق سبيلها .

الوالد المنفصل وبرنامج الخطوات الأربع

على الرغم من المتاعب التى يواجهها الوالد المنفصل ، إلا أنه قد يكون أكثر حظاً من الآباء غير المنفصلين ولو فى مجال واحد على الأقل ـ وهو أنه لا يوجد أى فرد بالمنزل يفسد من تطبيقه لخطة كبح الرد الوقح .

أولاً : يجب أن يقرر الوالد المنفصل العقوبة على الرد الوقح . هل هى الحرمان من مشاهدة التلفاز ؟ أم الحرمان من الذهاب إلى المطاعم الشهيرة فى عطلات نهاية الأسبوع ؟ أم الحرمان من الذهاب إلى السينما فى ليالى أيام الجمعة ؟ أم الحرمان من السهر مع أصدقائه ؟

فمن الممكن أن تكون جميع هذه الأشياء عقوبات إذا ارتبطت منطقياً بالرد الوقح ، وصدرت بطريقة تدل على أنها أمر واقع . على سبيل المثال قد تقول إحدى الأمهات : " هذه الطريقة فى الحديث وهذا النوع من الكلام غير مقبول فى هذا المنزل . والطريقة التى تحدثنى بها تستنزف وقتى ، وطاقتى ، ولذا فلن أضيع وقتى وطاقتى لاصطحابك إلى المطعم لتناول العشاء .

ثانياً : يجب أن يدرك الوالد المنفصل أن أطفاله ليسوا أصدقاءه ، وإنما هم أطفال بحاجة للتربية .

ثالثاً : يجب أن يحاول الوالد المنفصل بأقصى جهده لتحسين الحياة مع طفله ، فهل ينبغى عليه أن يقضى المزيد من الوقت مع الطفل والقليل منه مع أصدقائه ؟ أم هل ينبغى عليه قضاء القليل من الوقت مع الطفل وينعم بحياته الخاصة ؟ لقد قامت " آنى " وهى أم لطفلتين توأم وتعيش بمفردها فى تكريس وقتها كله للأنشطة الثانوية لابنتيها مع الكورس الموسيقى الذى تغنيان فيه . وكانت مشاهدتها طفلتيها وهما ترتديان زياً من صنعها وتغنيان غناءً منفرداً أو ثنائياً فى الحفلات مصدر متعتها الكاملة . وفى أى وقت تحاول فيه أن تكبح ردهما الوقح المتزايد باستمرار كانتا تهددان بالتوقف عن الغناء فى الكورس ـ وهى نتيجة لا تستطيع " آنى " أن تتحمل التفكير فيها . وعندما انفصلت الفتاتان عن الكورس وهما فى المدرسة الثانوية لممارسة الأنشطة الأخرى ، عانت " آنى " لعدة شهور من أعراض الانسحاب جراء هذا الانفصال واضطرت لتلقى العلاج حتى تعود لطبيعتها . فإذا ما طبقت برنامج الرد الوقح عندما كانت الفتاتان فى سن أصغر ، فربما كان سيصبح بمقدورها أن تنسحب من حياة الفتاتين وتجد حياة خاصة بها فى زمن مبكر .

وهناك أمور أخرى يجب أن يضعها الوالد المنفصل فى اعتباره ، مثل : هل يترك الوالد الطفل كثيراً مع الأقارب أو جليسات الأطفال ؟

وهل يكون الوالد لطيفاً ومهذباً عندما يكون مع الطفل ـ وخصوصاً في عائلات الآباء المنفصلين التي غالباً ما يكون الوالد المنفصل فيها مرهقاً ، وقلقاً ، ومحروماً من العديد من المتع التي يستمتع بها غيره من الكبار ؟ هل يبدى الأب المنفصل اهتماما واحتراماً عندما يكون بصحبة ابنه ؟

ويمكن تحسين جميع هذه الأمور بغض النظر عن القدر المتوافر من الوقت والمال . كما يمكن تطبيق برنامج التغلب على الرد الوقح في نفس الوقت . وتبرز القصة التالية الأساس الذى يجب أن يضعه الوالد المنفصل ليتمكن من تطبيق برنامج الخطوات الأربع بفاعلية .

قصة الحالة العاشرة : كان " سام " ، وهو والد منفصل يبلغ من العمر أربعين عاماً . يتعامل مع الرد الوقح المتزايد من أبنائه الثلاثة بالخروج بعد العمل كل ليلة بمفرده والاستمتاع برحلات للتزلج على الجليد والغوص ، تاركاً أبناءه برفقة والدته . وعندما حاول التفكير في توقيع عقوبة منطقية ، لم يتبادر إلى ذهنه أى شىء قد يجعل الأطفال يبالون به . إنه لم يصحبهم قط إلى أى مكان ، ومن ثم فإنه لا يستطيع أن يحرمهم من هذه المتعة . ورأى أن باستطاعته ألا يشترى لهم الأشياء التى يريدونها ـ كالأجهزة الرياضية مثلاً ـ ولكنه اعتاد شراءها لتخفف من شعوره بالذنب لابتعاده عنهم كثيراً جداً . وعندها أدرك أن جميع حياته بالكامل منفصلة تماماً عن حياتهم لدرجة تجعل تطبيق برنامج الخطوات الأربع أمراً مستحيلاً تقريباً .

ونظراً لعدم رغبته فى التوقف عن رحلاته فى عطلات نهاية الأسبوع ، قام بالترتيب لاصطحاب أطفاله الثلاثة معه . وفى البداية كان الجهد والتكلفة فى مثل تلك الرحلة أمراً مروعاً ، ولكن سرعان ما أصبح الصبية ماهرين فى التعاون والمساعدة فى الإعداد للرحلات . كما تعلموا تناول الطعام المعد فى المنزل ، وكذلك المشاركة فى استخدام الزلاجات وأجهزة الغوص التى يتم استئجارها من خلال دفع جزء من

مصروفهم . وتعلموا فى نفس الوقت ألا يردوا رداً وقحاً ؛ لأنه كان لديهم حينئذ أنشطة كثيرة جداً لا يرغبون أن يحرموا منها مثل : الغوص والتزلج وإقامة صداقات مع الأطفال الذين يقابلونهم فى رحلاتهم .

واستأنف " سام " دوره فى التربية ، وأصبح أقل أنانية ، وأكثر احتراماً ، وساهم هذا الاتجاه مع توفير المتع العديدة للأطفال فى جعل برنامج التغلب على الرد غير المهذب فعالاً جداً فى منزل " سام " .

مشاكل خاصة لمراكز الرعاية اليومية تواجه الآباء المنفصلين

يبدى الكثير ممن يقومون برعاية الأطفال شكوكهم تجاه قدرات الآباء المنفصلين ، فهم يعتقدون أن مراكز الرعاية اليومية للأطفال توفر بيئة أفضل مما يوفره منزل الآباء المنفصلين . وقد يقبل الطفل ، والأم بهذا الاعتقاد - وبدون وعى - يتوقعون القليل من سلوك الطفل بالمنزل ، ويؤمنون بأن الرد غير المهذب أمر متوقع .

فلتتوقف عن ذلك ! إنك الوالد ، وأنت الشخص الذى يحتاج الطفل إليه بغض النظر عما توفره له . من الممكن أن تكون مبتهجاً لما تقدمه جليسة طفلك له من متع كثيرة جداً ، ولكن لا يجب أن تشعر بعدم الأمان عند المقارنة .

ولكن بعض من يقومون برعاية الأطفال يعتقدون أنك بحاجة ماسة إليهم لدرجة أنك لا تستطيع تبديلهم مهما حدث ، ويمنحون أطفالك أدنى حد من الرعاية ولكن ليس المزيد . ولذا فإنك بالطبع تقرر أن طفلك الذى يشعر بالإهمال والإحباط لديه الحق فى الرد بوقاحة أثناء الليل .

لا ، فليس لديه ذلك الحق ، حتى فى ظل ظروف سيئة . فإنك عندما تسمح لطفلك بالرد الوقح ، فإنك تعلمه بذلك أن الرد بوقاحة إحدى طرق التغلب على الأوقات العصيبة فى الحياة .

فابدأ البحث عن شخص أفضل يقوم برعاية الأطفال .



٨

الآباء العاملون والرد الوقح

على الرغم من الحديث الدائم عن تمتعنا بنظام اقتصادى قوى ، إلا أن الحقيقة هى أنه في كثير من العائلات يضطر كلا الوالدين للعمل . وينهمك الكثير من الآباء فى العمل ، وينشغلون بالحفاظ على وظائفهم التى تعين على إعالة عائلاتهم . ونتيجة لذلك ، فإنه أمر مألوف للآباء العاملين ـ سواء كانوا منفصلين أو غير منفصلين ـ أن يشعروا بالغضب .

ونحن لا نتحدث عن غضب الوالد من أطفاله ، بل نتحدث عن غضبه من العمل ، ورئيسه في العمل ، وزملائه ، وشريك حياته الذى يزيد من أعبائه . وإذا لم يتم تحرير الغضب ـ إذا كان الموقف فى العمل غير مُرض ـ فإن الآباء قد يعودون للمنزل وهم يتميزون غيظاً ، ويكتسب الأطفال هذا الغضب ، فيظهرون غضبهم الشخصى من المدرسة ، والأصدقاء ، والوالدين نتيجة إرهاقهم ، وغضبهم الشديد أثناء الساعات القليلة التى يرونهم فيها . والرد بوقاحة أحد هذه المظاهر ، وتبدأ فترة من الكآبة . ففى بعض العائلات قد يصرخ الوالدان

في الأطفال بوقاحة رداً على وقاحتهم ، ويصبح المنزل مرتعاً للكلام البذىء . وفي عائلات أخرى يرد الأطفال رداً وقحاً ، ويرفض الوالدان التعقيب بأى شيء ، ويصبح المنزل بمثابة مكان للجفاء الفاتر لكل فرد فيه . وإذا كانت العائلة تتناول عشاءها معاً فهم يتناولونه في صمت وفي وقت قصير . ويأوى كل فرد إلى حجرته بأسرع ما يمكن .

وقد تبدأ عطلات نهاية الأسبوع بداية أفضل عندما يستعيد كل فرد نشاطه بعد نوم ليلة هادئة ، ولكن في كثير من الأحيان سرعان ما يتدهور الجو الأسرى العام عندما يبدأ أى طفل في الرد بطريقة غير مهذبة عند أول موقف مثير للغضب ـ أو أحياناً دون وجود ما يثير غضبه . ويؤثر هذا الرد الوقح بالسلب على الحالة العامة الجيدة للعائلة وبحلول الغروب يسود جو يغلب عليه مشاعر العداء .

وقد تصبح هذا المشاهد البغيضة أسلوباً للحياة في عائلات الآباء العاملين بغض النظر عن مدى حسن نيتهم ، إلا أنه يمكن تغيير بعض الأمور ، فباستطاعة الآباء العاملين القضاء على الرد الوقح ، وكذلك تحسين جودة الوقت الذى يقضيه أفراد العائلة معاً من خلال استخدام برنامج الخطوات الأربع .

أولاً : يجب أن يحدد الآباء الحالة المزاجية العامة للحياة العائلية وكذلك نوع الحديث الذى يسمحون به . وثانياً : يجب أن يختار الآباء العاملون العقوبات التى يسمح وقتهم وطاقتهم بتطبيقها في حالة حدوث رد وقح . وهذا سيناريو بسيط يمكن استخدامه كدليل . وسوف نطلق على الابنة فى هذا السيناريو اسم " سيسى " ، ونفترض أنها في الثالثة عشرة من عمرها تقريباً .

الأم (تعود لتوها من العمل متعبة جداً) : " " سيسى " إنه دورك في الطهى هذه الليلة . الحمد لله ! (وتغوص في مقعدها المفضل) . لقد مررت بيوم عصيب " .

" سيسى " (مرتدية زي فريق التشجيع ، وتلقى بشارات التشجيع من يديها) : " أف ! هل من المفترض أن أقوم بطهى الطعام الليلة ؟ لا أعتقد ذلك " .

الأم تحاول أن ترد بطريقة غير مهذبة لأنها تشعر بجرح مشاعرها ، وتشعر كذلك بالغضب ؛ لأن " سيسى " لا تلقى بالاً لشعورها بالإرهاق ، ولكنها تتذكر البدء في برنامج القضاء على الرد الوقح ، فتقول : " " سيسى " ، إن ذلك النوع من الحديث غير مقبول ، وغير مهذب . ونتيجة لذلك ، فإننى لن أضيع ما تبقى لدىّ من وقت وطاقة قليلة أدخرها لاصطحابك إلى المباراة " .

" سيسي " : " ولكننى في فرقة التشجيع ! "

الأم : إن احتجتِ إلىّ ، فأنا بالطابق الأعلى آخذ حماماً دافئاً . وسوف أقوم بإعداد عشاء لى وحدى فقط فيما بعد . (وتغادر الحجرة) .

ولكن هل ينبغى على الأم أن تلين إذا ما اعتذرت " سيسى " عن طريقة حديثها وقامت بإعداد عشاء مناسب ؟ كلا ، وينبغى عليها أن تتجنب المزيد من المناقشة . والفكرة هى أن توضح لـ " سيسى " ـ وليس مجرد أن تخبرها ـ أن لردها الوقح عقوبات فعلية ، ولا يمكن التفاوض في التنازل عنها .

كما أن الآباء العاملين بحاجة لقوة العزيمة لتطبيق برنامج الخطوات الأربع بفاعلية ، وهذا بسبب إجهادهم وشعورهم بالإحباط الناتج عن وظائفهم . ولكن من أين سيأتى هذا العزم في ظل الضغوط البدنية ، والعقلية المتزايدة الذى يعانى منها الكثير من الآباء العاملين ؟ تقدم الأم الموجودة في القصة التالية أحد الحلول التى يمكن الأخذ بها .

قصة الحالة الحادية عشرة : " ميرا " أم عاملة لثلاثة أطفال أعمارهم ثمانية ، وأربعة عشر ، وسبعة عشر عاماً على الترتيب . ولم تكن فقط تعمل بدوام كامل كسكرتيرة في أحد المكاتب الحكومية ولكنها أيضاً كانت تقوم بدراسة ثلاثة من المقررات الجامعية في الفصل الدراسى الواحد طوال السنوات الست الماضية . وقد كان من المتوقع لها أن تحصل على شهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال عندما كنت أجرى معها مقابلة لتسجيلها في هذا الكتاب أثناء إعداده . ويعمل زوجها محرراً لإحدى الصحف المحلية كما أنه مسئول أيضاً عن عملية الطباعة . ويجب عليه العمل لمدة ثلاثين ساعة في الأسبوع على الأقل لمجرد الاحتفاظ بوظيفة فقط .

إلا أن أحد الجيران ، الذى يقضى وقتاً كبيراً مع هذه العائلة يقول إنهم يعيشون أسعد حياة عائلية يمكن تخيلها ، فكيف ينجح الوالدان في هذا ؟ تقول " ميرا " : " أعرف أن ذلك قد يبدو أمراً سهلاً ، ولكننا مشغولون جداً لدرجة تجعلنا لا نشعر بالسخط ، فليس هناك وقت للمشاعر السيئة في منزلنا " .

فالأطفال دائماً منشغلون في المهام المنزلية المعهودة إليهم ومسئولياتهم الأخرى . على سبيل المثال ، الابن الذى يبلغ سبعة عشر عاماً مسئول عن مساعدة الابن الذى يبلغ ثمانية أعوام في تحسين مهارات القراءة لديه . والابنة التى تبلغ أربعة عشر عاماً مسئولة عن الغسيل - وهى وظيفة مجهدة . والأم مسئولة عن اصطحاب الابنة إلى تدريب كرة القدم والمباريات - وهى ليست مهمة سهلة ، حيث إن فريقها يصل للمباريات النهائية فى البطولات على مدار السنوات الخمس الماضية - وكذلك اصطحاب الابن الأكبر إلى المباريات المدرسية . والأب مسئول عن اصطحاب الابن الأصغر إلى مباريات كرة القدم ، وتدريب الفريق . فجميع أفراد العائلة عليهم القيام بمهام محددة حتى أثناء المعسكرات التى يقومون بها بسيارة الأسرة .

ولكن " ميرا " تعترف بوجود سبب آخرٍ لسعادة العائلة بجانب قلة الوقت للشعور بالسخط ، إنه ليسعدها دائماً رؤية قلة الوقت للشعور بالسخط فتقول : " إننا نسعد دائماً برؤية كل منا للآخر في نهاية اليوم ، وعلىٍ أية حال فإننى دائماً أسعد برؤيتهم ، وربما يكون هذا الشعور شعوراً معدياً " . وعند سؤالها عما إذا كانت لا تكل من جدول أعمالها المحموم لدرجة تجعلها لا تشعر بالسعادة عند رؤية أى أحد فقالت : " نعم ، فإننى أشعر بالإرهاق ، والإحباط ، وأتمنى لو كان لدىّ وظيفة ، أو أساتذة أفضل فى الجامعة ـ فبعض المقررات الدراسية تسبب لى مثل هذا الشعور ، ولكنى بتذكير نفسى عندئذ بمدى ولعى بعائلتى ، فإننى بحاجة إليهم وأحب أن يلتفواٍ حولى كما أحب طهى الطعامٍ لهم ، وأصر على أن نتناول العشاء معاً إلا في مناسبات نادرة جداً ، فلست من هؤلاء الأشخاص الذين لا يرغبون في الحياة العائلية " .

وعند سؤالها عما تفعله عندما يدخل الأطفال في جدال ، أو يصعب التعامل معهم ، قالت : " لا نصحبهم إلى الأماكن التى يرغبون في الذهاب إليها كمنزل أحد الأصدقاء ، أو المركز التجارى لمقابلة أصدقائهم . وفي حالة ابننا الأكبر ، فإننا نحرمه من استخدام السيارة " .

وتوضح هذه القصة عملياً بعض مبادئ برنامج الخطوات الأربع ، وأحدها هو أن الرد غير المهذب ليس من بين الخيارات المطروحة فى هذه العائلة . وثانيها أن الوالدين يوفران الكثير جداً للأطفال ـ الكثير من الاهتمام والكثير من الخدمات مثل اصطحابهم بالسيارة ، وتقديم المزيد من المساندة في أنشطتهم ـ فى ظل مجموعة من العقوبات المحتملة .

كما توضح هذا القصة أيضاً ضرورة ضبط وتهيئة الذات ، فيجب على الوالد أن يتصرف وكأنه علىِ الرغم من كل شيء ، يشعر بسعادة

عند عودته للمنزل بغض النظر عن شعوره الحقيقى . ويؤكد الكثيرون من الخبراء أن التظاهر بالسعادة سرعان ما يجعلك تشعر بالسعادة بالفعل .

ونكرر هنا أن خلق جو سعيد من الحياة العائلية والمحافظة علي ذلك الجو أمر ضرورى للخطوات الثانية ، والثالثة ، والرابعة . وبدون حياة عائلية سعيدة ، قد يكون القليل من العقوبات ذا أثر فعال بغض النظر عن تطبيقها الفورى .

وبجانب قلة الوقت والمجهود والقلق على الوظيفة ، فإن الآباء العاملين يواجهون موقفاً آخر مسببا للرد الوقح وهو : الاضطرار لترك الأطفال بمفردهم فى المنزل بعد المدرسة ، فيجب أن تتواصل مع هؤلاء الأطفال (الذين يتم بقاؤهم في المنزل بمفردهم بسبب عمل الوالدين) من خلال الهاتف إن لم تستطع أن تكون معهم بشخصك .

" بوب " مدير دعاية تنفيذى ، وزوجته مندوبة مبيعات بشركة أدوية ويعملان خارج المدينة معظم الوقت وكانا يواجهان مشكلة ترك ابنهما " شان " الذى يبلغ من العمر اثنى عشر عاماً . وقد أخبر " شان " أباه أن وجود جليسة أطفال بعد اليوم الدراسى هو أمر مهم بالنسبة للجبناء فقط ، وأنه يرغب في الجلوس بمفرده . وفي كل مساء عندما يتصل " بوب " من العمل للاطمئنان على " شان " ، كان الحديث يدور بينهما على النحو التالى :

" بوب " : مرحباً يا فتى !

" شان " : أبى ، أرجوك أيجب عليك الاتصال كل يوم ؟

" بوب " : إننى أطمئن عليك فقط أيها الصبى ، فإننى أشعر بالراحة عندما أعرف ...

" شان " : حسناً دعنا من هذا !

" بوب " : بُنى ! إننى قلق عليك !

" شان " : حسناً ! تغلب على هـذا القلـق ! فـإننى يجـب أن أذهب ؛ فـ " مـوى " موجـود معـى ونشـاهد قنـاة الـ " إم ت فى " .
" بوب " : " إم تى فى " ؟ أعتقد أننى أخبرتك ...
" شان " : إلى اللقاء يـا أبـى (يضـع سماعـة الهـاتف ويسـمع
" بوب " نغمة تدلٍ على انشغال الخط) .
" بوب " (**موجهاً حديثه بارتباك إلى زميلـه في العمـل الـذى ينتقد طريقته فى إنهاء المحادثة كل يوم**) : إنهم أطفال هـذه الأيام ! فماذا بوسعك أن تفعل ؟

وهذه هى الطريقة التى ينبغى أن يدور بها الحديث :

" **بوب** " : مرحباً يا فتى ! كيف كان يومك الدراسى ؟
" **شان** " : جيد ، لكنى حصلت على درجة ضعيفة في اختبـار الرياضيات .
" **بوب** " : الرياضيات مـادة صعبة . فلنبحـث لـك عـن معلـم خصوصى .
" **شان** " : إننى أكره فعل ذلك ، فإننى أشعر كأننى طفل .
" **بوب** " : إننى أدرك مـدى شـعورك ولكننـى متأكـد مـن أنـك ستكون أكثر سعادة في حصة الرياضيات إذا حصلت على بعـض المساعدة ، فما رأيك في هذا ؟ إننا سنبحث عن معلـم خصوصـى وستتعهد بأن تتعاون معه بصورة جادة ، ولنقل مثلاً لمدة شهر .
" **شـان** " : أظـن أن ذلـك عـادل . ولكـن أيـن سـنجد معلمـاً خصوصياً ؟

" **بوب** " : قد يعرف معلمك في الرياضيات طالباً بالمدرسة الثانوية مؤهلاً لذلك . فسوف نسأله أولاً ، وإذا لم يكن يعرف فسأقوم بالاتصال بقسم الرياضيات في الجامعة .

" **شان** " : حسناً ! وكيف كان يومك ؟

" **بوب** " : لا بأس به ، فقد حصلنا على ذلك الحساب الجديد . حسناً ، يجدر بى الذهاب . أتمنى لك الاستمتاع بتدريب كرة القدم .

" **شان** " : أراك الليلة ! إلى اللقاء .

وإذا ما بدا " شان " في هذا الحديث لطيفاً لدرجة تبعد عن الواقع ، فلتطمئن فإنه ليس كذلك ؛ لأن ما يدفعه لذلك هو أنه يعلم أن الرد الوقح غير مقبول ، لذلك فهو يستخدم هذه الجمل الواعية لتبادل المعلومات ، والبحث عن مساعدة ، وحل المشاكل ، وتحقيق الأهداف الإيجابية الأخرى التى تشعره هو وأباه شعوراً أفضل بالراحة حتى وإن لم تكن هذه الأخبار سارة ، كما هو الحال في درجة الرياضيات .

وما يجب أن يفعله " بوب " والآباء العاملون الآخرون من ذوى الأبناء الذين يمكثون بمفردهم بعد المدرسة هو تحمل المسئولية ، فإيجاد جليسة أطفال ، أو شيء من قبيل تنظيم رعاية تعاونية للطفل ، أو إيجاد نشاط مُعد بعد المدرسة هو أمر ضرورى بغض النظر عما يقوله الأطفال . كما أنه من الضرورى تطبيق برنامج الخطوات الأربع بالمنزل ومن خلال الهاتف . ولكن ليس باستطاعة الوالدين التهديد بعقوبة أو تطبيقها أثناء وجودهم بالعمل ، ولكن بإمكانهم فعل ذلك بالمنزل . فيمكن للوالد أن يعلن فور وصوله للمنزل قائلاً : " الطريقة التى تتحدث بها عبر الهاتف غير مقبولة ، ولن أسمح لك بعد ذلك بمرافقة أحد بعد المدرسة ؛ لأننى لا أريد أن يسمع أى شخص آخر طريقة

حديثك ، وبدلاً من ذلك ، ستكون الخادمة هى الموجودة بالمنزل " . أو من الأفضل أن تقول : " سوف أحصل على ساعة الراحة من العمل يومياً وقت عودتك من المدرسة وحتى أستطيع اصطحابك إلى إحدى الجمعيات الدينية " أو ملعب التنس ، أو أى مكان آخر تقوم فيه بترتيبات لإيجاد شخص بالغ يمكنه ملاحظة طفلك بعد المدرسة . وعندما يحتج الطفل ، تستطيع الانسحاب بفعل ما يجب عليك فعله ـ وهو أن تعود إلى عملك .

ويجب أن يكون لدى الآباء العاملين قاعدتان ثابتتان : أولاهما أن الحالة المزاجية الجيدة بالمنزل أمر يستحق العمل من أجله بغض النظر عما قد يشعر به الآباء من تعب وإحباط . والثانية أن برنامج التغلب على الرد الوقح يمكن تطبيقه بنجاح في الساعات القليلة التى يقضيها الآباء العاملون مع أطفالهم ـ وينبغى أن يحدث هذا ، إذا كان الآباء يريدون أن تكون تلك الساعات مفيدة وسعيدة لكل الأطراف .



٩

التعامل مع أصدقاء أطفالك الذين يردون رداً وقحاً

لأن الرد الوقح قد تفشى بصورة كبيرة بين الأطفال في جميع الفئات الاجتماعية والاقتصادية ، فمن الطبيعى أن يظهره الكثير من أصدقاء أطفالك في المنزل خاصة أصدقاء طفلك المقربين . ويبدو أن الأطفال يعجبون بأصدقائهم الواثقين من آرائهم وأفكارهم حيث تكون النتيجة في أغلب الأحيان شكلاً من أشكال الرد غير المهذب . وبالطبع يعجب الأطفال بهؤلاء الأصدقاء لأنهم لا يخشون أحداً سواء كانوا آباءهم أم آباء أى فرد آخر .

ويشعر بعض الآباء بالفزع عند اكتشاف أن أبناءهم يردون بوقاحة على الأشخاص البالغين وهم في منازل الآخرين . ولكن لايبالى آباء آخرون بشأن هذا الأمر ، ولِمَ ينبغي عليهم ذلك ؟ السبب الرئيسى فى ذلك هو أنه لم يعد هناك أى شعور بالحرج بشأن آراء الآباء الآخرين السلبية عن ابنهم . وما لم يكن للآباء الآخرين نفوذ اجتماعى أو

اقتصادى على والدى الأطفال الذين يردون رداً وقحاً ، فإن الآخرين ليس لديهم سبب حقيقى للقلق بشأن آراء الآباء الآخرين . ويوجد سبب آخر وهو أن بعض الآباء يفخرون بأطفالهم العنيدين إن لم يكونوا خائفين منهم بالفعل . كما يتضح من القصة التالية : -

قصة الحالة الثانية عشرة : تزوجت " ناعومى " ابنة أحد رجال الدين المحافظين من " روى " وهو ابن لأبوين متشددين . وبعد حفل زواجهما بوقت قصير ، غادرا منزلهما وقررا الحياة فى مجتمع أكثر تحرراً وتساهلاً ، وأعطيا الفرصة لابنتهما " مارين " بالنمو كما يحلو لها ، وألا تلقى بالاً لأى أحد أو أي قانون . وكان كل من " روى " و " ناعومى " ، ينظران بإعجاب إلى نوبات غضبها ، ومظاهر سيطرتها على أطفال الجيران .

وعندما اشتكت إحدى الجارات إلى " ناعومى " أن " مارين " وكان عمرها عندئذ أربعة أعوام ، أمرت ابنتها أن تخرج من صندوق الرمل الذى يلعب فيه الأطفال ، ولا تعود مرة أخرى . هزت " ناعومى " كتفيها فى لامبالاة ، وقالت بطريقة يشوبها الإعجاب بابنتها : " حسناً ، لا تقولى " لا " إلى " مارين " " أبداً واستمر كل من " ناعومى " و " روى " على هذا القول كل مرة تغضب فيها " مارين " أحد معلميها ، أو أحد آباء أصدقائها حيث كان يحدث هذا فى كل أسبوع تقريباً طوال الفترة التى قضتها مع والديها . وفى النهاية عندما بلغت " مارين " سبعة وعشرين عاماً ، اضطر " روى " و " ناعومى " لأن يقولا لها : " كلا ، لا تستطيعين البقاء بالمنزل مع طفلك بلا وظيفة أو درجة جامعية " . وغادرت " مارين " المنزل فى إحدى نوبات الغضب . ولم يسمع والداها عن أخبارها شيئاً إلا مرات قليلة فقط ، وكان ذلك لتخبرهم أنها عرضت ابنها للتبنى ، مما جعل " ناعومى " ترى أن عليها دعم ابنتها التى بلا عمل مالياً لسنوات أخرى . وفى المرة الثانية اتصلت " مارين " لتقول إنها تتناول أدوية

مضادة للاكتئاب ، وتتساءل إذا ما كان بإمكانها العودة للمنزل لفترة من الزمن وكانت الإجابة هى الرفض للمرة الثانية . وتقول " ناعومى " : " لقد تعودنا أن نعيش فى هدوء بدونها ولا نرغب فى اضطراب الأمور مرة أخرى " .

وتتحدث " ناعومى " عن " مارين " برباطة جأش فتقول : " لقد كنت خائفة منها على الدوام ، فقد كانت ميالة للسيطرة وعدوانية جداً ، وكنت متساهلة معها جداً ، ولم يكن هناك أمل ، كما كانت " ناعومى " حزينة جداً لخيبة أملها فى أن شخصية " مارين " القوية لم تحقق لها الثروة أو الشهرة ، فتقول بتعجب : " لقد كنت أعتقد حقاً أنها ستكون مديرة لشركة ، أو سياسية مشهورة فى ذلك الوقت ، فقد كان لديها ما يؤهلها لذلك ولا أعرف من أين بدأت فى الخطأ " .

ومغزى القصة هو أنه إذا كان " روى " و" ناعومى " أخذا آراء آباء أصدقاء " مارين " مأخذ الجد ، فربما كانا أدركا أنه توجد مشكلة يجب عليهما مواجهتها . وربما كانا قد اتخذا موقفاً تجاه الرد الوقح لـ " مارين " وربما كانت " مارين " قد تعلمت كيف توظف شخصيتها القوية بأسلوب أكثر نفعاً . ولكن اختار والداها تجاهل التحذيرات المهمة التى كان يطلقها الآخرون طوال سنوات طفولتها .

وتتذكر " ناعومى " ما قالته من قبل : " لقد كنت أخبرهم فقط ألا يرفضوا أى شىء لـ " مارين " " . وكنت أتلقى اتصالات بين الحين والآخر لدعوتها إلى منزل أحدهم ، ولفترة قصيرة ، كان يتم توجيه الدعوة إليها للخروج كثيراً ؛ لأنها كانت مشهورة جداً وبالطبع توقفت الدعوات بعد ذلك ؛ فقد تعلم آباء أصدقائها فى النهاية أن يرفضوا زيارة " مارين " . ونظراً لإصرارهما على تبنى مبادئهما المتحررة فى تربية الأطفال لم ير كل من " ناعومى " و " روى " أية علاقة بين الرد الوقح لـ " مارين " على آباء أصدقائها ، والمتاعب التى تواجهها للتكيف مع حياتها كإنسانة ناضجة .

ويوجد سبب ثالث لعدم اهتمام الآباء بالرد الوقح لأطفالهم على آباء أصدقائهم وهو ببساطة عدم الرغبة فى مواجهة الرد الوقح للطفل ، فالتعامل مع الرد الوقح ببساطة ليس على جدول أعمال الوالدين أو ضمن اهتماماتهم ليواجهوه . وتظهر القصة الثالثة عشرة هذا الموقف بوضوح .

قصة الحالة الثالثة عشرة : أتم " ديردر " و " سدني " طلاقهما بشكل ودى . وهما من أصحاب الأعمال الناجحين جداً ولهما نفوذ واسع في فى مدينة كبيرة فى الجنوب الغربي . وكلاهما يعمل بجد وكثيراً ما كانا يقضيان الإجازة فى أماكن مثل " أسبن " و " جبال الألب " و " البحر الكاريبى " بمفردهما أو مع الأصدقاء ويتشاركان فى حضانة أطفالهما - وهما " ليلي " وعمرها عشرة أعوام و " لارى " وعمره ثمانية أعوام والذين كما تقول " ديردر" بأسلوب يبدو أنها تقصد كلماته إن الأطفال غير ضروريين فى حياتهما ، فتقول : " كان ينبغي علينا ألا ننجب أطفالاً أبداً " .

إنها واقعية جداً تجاه مشاعر الأطفال فتقول : " لديهم ألسنة سليطة مما يتسبب فى طردهم من المدارس ومنازل أصدقائهم ، ولكننى قررت أنا و " سيدنى " ألا نقلق بشأن تلك المشكلة الآن فالأطفال فى مدارس خاصة تستمر ثمانية شهور فى العام ؛ وفى المعسكرات الصيفية باقى العام . وعندما يحضر الأطفال للمنزل فى إجازة ، فإن إحدى جليسات الأطفال تقوم برعايتهم طوال الوقت وتوضح " ديردر" قائلة : " إننا حقيقة نميل إلى تكريس كل طاقتنا فى أعمالنا لأننا فى قمة النجاح فيها . وذات مرة اصطحبنا الأطفال فى رحلة إلى " ألاسكا " ولكنهم كانوا أطفالاً مزعجين للغاية مما جعلنا نعهد بهم إلى الخادم طوال الرحلة " . وتضيف أن الأطفال سيكتشفون من تلقاء أنفسهم كيف يحسنون التصرف عندما يحتاجون أصدقاءهم بشدة .

وقد يكون هذا الأسلوب في تربية الأطفال مقنعاً بالنسبة لـ " سيدنى " و " ديردر " . ولكنه يجبر البالغين الآخرين على مواجهة الرد الوقح للأطفال . أليس هذا ظلماً ؟ إنه كذلك بالطبع ، ولكنه أمر شائع جداً .

إلا أنه يمكن التغلب على هذه المشكلة بالنسبة للآباء الذين يستضيفون الأطفال ، والذين يجدون أنفسهم مستضيفين لمن يردون رداً وقحاً . وتوضح القصة التالية الطريقة التى يمكن بها فعل هذا :

قصة الحالة الرابعة عشرة : أقامت " إيمى " وهى منتجة تلفزيونية حفلاً لابنتها " جوستين " ـ التى تبلغ من العمر تسعة أعوام حيث يبيت أصدقاء ابنتها عندها ، وكانت ضيفة الشرف هى " كيلى " وهى صديقة صغيرة لـ " جوستين " وكانت تلعب دوراً كبيراً فى إحدى الحلقات التليفزيونية . وكان كل من " إيمى " وزوجها على معرفة بوالدى " كيلى " ، وكانا يعرفان أيضاً أنه منذ بدأت " كيلى " العمل فى العرض ، أصبح لديها القليل من الوقت لتقضيه مع صديقاتها القدامى .

وكانت " كيلى " تظهر سلوكاً جديداً ومزعجاً بمجرد حضورها للحفل ، فقد كانت غير مهذبة تجاه الضيوف الآخرين ، وتجاه " جوستين " وفى النهاية ، عندما طلبت " إيمى " من الأطفال أن يتوقفوا عن إلقاء معجون حلاقة زوجها على بعضهم البعض ، ردت " كيلى " بطريقة غير مهذبة على " إيمى " مباشرة وقالت وهى تنطق باسمها الأول للمرة الأولى : " إيمى " لا يمكنك إجبارى على فعل أى شىء ، فإنك لست أمى .

وقالت " جوستين " وهى تحاول أن تبدو شجاعة : " نعم يا أمي" ، ولكنها أضافت لـ " كيلى " بنبرة تهديد فى صوتها : " كيلى " ، لم يكن ينبغى عليك أن تقولى ذلك . لقد أخبرتك ! فقد كانت " جوستين " تعلم بالضبط ما سيحدث .

كان بمقدور " إيمي " أن تقول لـ " كيلي " أشياء عديدة مثل " ولكن هذا منزلي " ، أو " ولكن والدتك لاتحب أن تتصرفي بهذه الطريقة " ، " ولكن يجب أن تنتبهي لسلوكك معي " ولكنها بدلا من ذلك ، قامت بتطبيق نتيجة منطقية ، فقد قالت : " " كيلي " يجب أن تغادري الآن . فهذا النوع من الحديث مرفوض في منزلنا . من فضلك ارتدِى ملابس الخروج حالاً " . ومتجاهلة الاحتجاجات الصاخبة للضيوف الآخرين ، اتصلت " إيمي " بوالدة " كيلى " ، وراقبتها بانتباه حتى ارتدت ملابسها ، واستعدت للخروج . وقامت باقتيادها للباب عندما وصلت والدتها . وقالت " إيمى " لوالدة " كيلي " بابتسامة واثقة : " سأكون سعيدة أن أستضيف " كيلى " مرة أخرى ، ولكنني سأضطر لفعل نفس الشىء إذا ما تحدثت إلىَّ بطريقة غير مهذبة " . وإذا كنت بحاجة لمعرفة رد فعل الضيوف الآخرين إزاء هذا الموقف ، فإنك بحاجة لمعرفة المزيد عن الخطوة الرابعة ، وهي الانسحاب من النزاع . والحقيقة ـ كما كانت تعرفها " إيمي " ـ هى أنه لم يكن يهم طريقة رد فعل الضيوف ، فتقول : أنا أهتم بما يعتقدونه ، فقد طلبت منهم عدم اللهو بالمزيد من معجون الحلاقة في تلك الليلة . وتجاهلت نظرات الغضب ، والدهشة التى تعلو وجوههم ، وتمنيت لهم قضاء وقت ممتع بعد ذلك الموقف ثم دخلت حجرة النوم للقراءة . وفيما بعد ، أخبرت " جوستين " أمها أن باقي وقت الحفل سار على ما يرام بما فيه الكفاية ، ولكن رحيل " كيلى " ألقى بظلاله على الحالة المزاجية للضيوف ، فردت " إيمى " : " أنا لم أفاجأ بذلك ، فقد كان سيئا جداً من " كيلى " أن تتصرف بهذا الأسلوب " . إنها لم تعتذر ، أو تعلق ، أو تناقش العقوبة التى طبقتها فى الحفل ، واستمرت في مناقشة موضوع آخر مختلف تماماً . وأغلقت قضية الرد الوقح لضيفة الحفل إلى الأبد .

فهذه أفضل عقوبة ، وأكثرها منطقية لاستخدامها مع الضيوف الصغار الذين يردون رداً وقحاً : وهي إخراجهم من منزلك بهدوء وعلى الفور . وإذا كان آباؤهم في سفر طويل بالخارج ويتعذر الوصول إليهم ، فإنه يمكنك التعامل مع هؤلاء باستخدام نفس العقوبات التي تستخدمها مع أطفالك .

وتذكر ، فإن الطرد الفوري لمن يرد رداً غير مهذب كعقاب له ليس مؤثراً على هذا الشخص فقط ، ولكنه يبرز لأطفالك استعراضاً مؤثراً لقوتك . ومضمون هذه الرسالة هو أنك تهتم بما فيه الكفاية بالتعامل مع أسلوب الحديث في منزلك على الفور .



١٠

التعامل مع الرد الوقح المنتشر في التلفاز ووسائل الإعلام الأخرى

تشير الأبحاث إلى أن الاتجاه السائد في وسائل الإعلام له تأثير مباشر على سلوك الأطفال . وتوضح العديد من الدراسات أن الأطفال عادة ما يرغبون في تقليد أنماط السلوك في وسائل الإعلام التي تثير انفعالاتهم سواء كانت ممتعة أم مؤلمة ، وتتميز هذه الإثارة بأنها عميقة ولا إرادية .

وتوضح إحدى الدراسات أن مشهداً للقتال بلعبة الكاراتيه في التلفاز قد جعل الأطفال يرغبون في ركل بعضهم بعضاً وهم في الملعب . كما أوضحت دراسة أخرى أن السلوك العدواني للأطفال يتزايد بحدة بعد مشاهدتهم لأفلام تحتوي على أي نوع من أنواع العنف . ولذا فإنه من المنطقي أنه عندما يشاهد الأطفال

رداً وقحاً فى أفلامهم المفضلة وفى العروض التليفزيونية ، فإن ذلك يعد دافعاً قوياً للانغماس فى الرد الوقح .

ويشاهد الأطفال الرد الوقح على شاشات السينما ، والتلفاز باستمرار . فدائماً ما تحتوى العروض التليفزيونية والأفلام على شخصيات من الأطفال تتميز بالرد الوقح . وقد أظهرت الإحصائيات التى تم تسجيلها ذات مساء أن العروض التى تحقق أعلى نسبة مشاهدة من الأطفال تتميز بوجود موقفين للرد الوقح للأطفال على الأقل فى كل حلقة ، وفى العادة يكون عدد المواقف أكثر من هذا .

ونحن نقصد بالرد الوقح فى خضم هذا الطوفان الإعلامى من سينما ، وتلفاز ، هو الرد الذى يرد فى سياق الحوارات العادية بين الشخصيات والذى يكون عادة فى شكل مواقف قصيرة الهدف منها إثارة الضحك . وكلما كانت الشخصية التى تنطق بالرد الوقح أصغر سناً ، فمن المفترض أن يكون الموقف أكثر بهجة . ولا يتم تقديم هؤلاء الأطفال الذين يردون رداً وقحاً على أنهم أطفال مزعجون ولكن يتم تقديمهم على أنهم أطفال طبيعيون يحسنون التصرف ، ومطيعون لآبائهم فى كثير من الأحيان .

ففى الموجة السائدة لوسائل الإعلام ، لا يتم تقديم الرد الوقح على أنه سلوك مرفوض يجب مواجهته بعقوبات مناسبة ولكن يتم تقديمه على أنه طريقة للفوز ينتج عنها الخضوع التام من جانب من يوجه إليه هذا الرد ، بل ينتج عنها الإعجاب فى بعض الأحيان . إننا نسمع الرد الوقح فى التلفاز من خلال اللقاءات الحوارية ، والحلقات الكوميدية ، كما يتم مشاهدة الكثير من الرد الوقح فى السينما من خلال العروض اليومية التى يحضرها المراهقون ، وإخوتهم الأصغر سناً الذين يقلدون المراهقين .

ففى هذه الأفلام وما شابهها ، يتم تقديم من يردون رداً وقحاً على أنهم جذابون ، ومرغوب فيهم ، وأذكياء ، ومرحون فى الغالب .

فثقتهم بذاتهم تبرز بين أترابهم ، وكذلك المتعة من ردهم الوقح على أقرانهم ، ومعلميهم ، وآبائهم ، والكبار الآخرين ممن هم فى مواقف سلطة .

ودائماً ما يستحق الذين يتلقون الرد الوقح ذلك لعدة أسباب منها : التصرف بتعالى وكبرياء ، أو بشكل جاد مبالغ فيه ، أو التصرف معتقداً أنه لا يخطأ أبداً (كالشخصية التى تبدى إصراراً على سلوكيات عفى عليها الزمن) . وكثيراً ما ترد تبريرات عديدة مختلفة للرد الوقح فى الأفلام أو اللقاءات التليفزيونية . وهكذا يتم تزويد الطفل بجميع أنواع المبررات لاستخدام الرد الوقح فى كل مرة يشاهد فيها التلفاز ، أو يذهب إلى السينما .

وهذه بعض الأسباب الأخرى للتأثير القوى للموجة السائدة لوسائل الإعلام على الأطفال التى تتعلق بالرد الوقح :

١. يعتقد الشباب فى جميع الأعمار أن أى شىء يتم عرضه فى التلفاز (باستثناء الأخبار ، والبرامج الأخرى عن أشخاص حقيقيين) ليست جيدة فقط بل مرغوب فيها كذلك .
٢. تم تصميم جميع الشخصيات السائدة بالتلفاز والسينما لتبدو مثل أعضاء اتحاد اجتماعى - حيث يبدون ، ويتصرفون بطرق تشكل معايير المظاهر والسلوك للآخرين .
٣. لا يريد الأطفال المشاهدون أن يقلدوا هذه الشخصيات فقط ، ولكنهم يرغبون فى أن يعرف أصدقاؤهم أنهم مثل هذه الشخصيات ، ولذا فإن المشاهدين يرغبون فى أن يكون لديهم نفس الملابس ، ونفس قصات الشعر ومظهر الجسم . كما يلزمون أنفسهم أيضاً باستخدام نفس الإيحاءات ، وأنماط الحديث .
٤. يصبح الرد السريع القصير الذى ينطق به شخصيات وسائل الإعلام بشكل جيد مهارة يجب ممارستها . إلا أنه بالنسبة

للأطفال يصل استخدام مثل هذه الردود السريعة إلى حد الرد بشكل غير مهذب .

وحيث إن وسائل الإعلام بمثابة مصدر مهم ، ومعلم ، ومؤيد للرد الوقح بين الأطفال ، فإنها تستحق بعض التحليل .

سرد موجز لتاريخ الرد الوقح فى التراث الشعبى

حتى بداية الستينيات من القرن الماضى ، كان يحاول كلٌ من التلفاز والسينما مخاطبة البالغين ، فقد كان يجب إسعاد البالغين - وليس الأطفال ؛ لأنهم هم من يتولى عملية الإنفاق ، فقد كانوا يقررون ما يتم شراؤه من المنتجات المعلن عنها وما يتم مشاهدته من أفلام . وكان نادراً ما يظهر الأطفال الذين يردون بشكل غير مهذب فى الأفلام ، وكان معظم هؤلاء الأطفال إن ظهروا يمثلون " أطفالاً سيئين " كما فى الأفلام الكوميدية . وفى التلفاز كان يتم تهميش أدوار الأطفال من ذوى الرد الوقح ، ويقتصر تقديمهم على صورة أصدقاء شبه أشرار للأطفال المهذبين .

وفى أواخر الستينيات وبداية السبعينيات تسبب تطوران اجتماعيان فى ارتفاع مكانة الأطفال من مجرد أناس يعتمدون على غيرهم ويجب الاعتناء بهم ، ومراقبتهم وعدم الاستماع إليهم ، والذين ينبغى عليهم دائماً أن يفعلوا ما يؤمرون به إلى أناس مرغوب فيهم ينبغى تسليتهم ، وباستطاعتهم التصرف كيفما أرادوا .

وقد كان التطور الأول الذى غيرّ من مكانة الأطفال هو انهيار نظام الأسرة الذى نتج عنه ثلاث نتائج :

١. أصبح الأطفال هم المفسرين للثقافة الحديثة .
٢. مهدت أشكال عديدة من الثقافة السائدة السبيل لأن يكون الشباب مرغوباً بقوة .
٣. تسبب المعدل المرتفع لحالات الطلاق فى جعل أطفال الآباء الذين انفصلوا بصورة مفاجئة أفضل أصدقاء لآبائهم ، والذين يتمنون رضاهم بأية طريقة .

وكان التطور الثانى الذى أسهم فى تغيير مكانة الأطفال فى المجتمع هو نمو قوتهم الاقتصادية . فبفصل العطاءات السخية أصبح لديهم المزيد من المال الخاص بهم لينفقوه ، وكذلك وظائف خاصة بهم ، ومدخرات من الهدايا النقدية الضخمة ، كما أصبح لديهم الحق فى تحديد الطريقة التى يتم بها إنفاق أموال الأسرة ، فباستطاعتهم الآن حمل آبائهم على شراء ما يريدون - من ملابس وأدوات زينة ، ومصففات شعر ومؤخراً إجراء الجراحات التجميلية لهم - ليبدوا أكثر شبهاً بشخصيات خيالهم التى يقتدون بها . وبالطبع كانت هذه الشخصيات هى الشخصيات التليفزيونية المحبوبة .

ويمكن وصف نتيجة هذين التطورين فى جملة واحدة : أصبح الأطفال الآن أكثر ذكاءً - لسنا بحاجة لنقول إنهم أكثر إمتاعاً وإثارة للإعجاب - من البالغين . أو - لكى نجعلها أكثر بساطة - أصبح شائعاً فجأة أن الصغار هم الأقوياء .

بإيجاز ، فإن الموجة السائدة لوسائل الإعلام الآن تظهر الأطفال كعلماء مبجلين لهم القول الفصل فى كل الأحاديث .

الإعلانات التجارية والرد الوقح

تُبرز الإعلانات التجارية بوضوح الحالة الجديدة الرائعة للأطفال أكثر من أى شكل آخر من وسائل الإعلام المنتشرة . وكما يقول أحد خبراء التسويق ، فإنه يتم تصميم الإعلانات التجارية لا لبيع المنتجات للأطفال فقط ، ولكن لاستخدامهم كوسائل تسويقية لجذب المستهلكين من الفئات العمرية الأخرى . وتتميز الإعلانات التجارية باستمرار وجود الأطفال الأكثر ذكاءً من آبائهم غير المحنكين ؛ ففى أحد الإعلانات التجارية يقوم أحد الأطفال بالرد بوقاحة على والدته العاملة المرهقة بشكل شديد الوضوح ، ويتحدث إليها بوقاحة ، ويدور بمقلتى عينيه إلى أن تشترى له المنتج الذى يروج له هذا الإعلان .

ولسنا بحاجة لنقول إن مثل هذه الإعلانات التجارية لا تجيز للأطفال المشاهدين استخدام الرد الوقح فقط ، ولكنها تخبرهم بأن الرد الوقح وسيلة رائعة وفعالة . على الرغم من الوجود القوى للشباب فى التلفاز ، إلا أن الباحثين يصرحون بأن معدل مشاهدة المراهقين والأطفال للتلفاز قد انخفض من حوالى أربعين ساعة فى الأسبوع فى عام ١٩٨٠ إلى ما يقرب من حوالى عشرين ساعة فى الأسبوع فى عام ١٩٩٥ . وقد يكون السبب فى هذا انتشار ألعاب الفيديو ، وكذلك ألعاب الحاسب ، والإنترنت . ويشاهد الأطفال فيما بين سن الثانية ، والخامسة التلفاز لوقت أطول ـ ما يقرب من خمس وعشرين ساعة فى الأسبوع . (ويزعم خبراء آخرون أن معدل مشاهدة صغار السن للتلفاز هو بالفعل أعلى بكثير) .

ما يجب فعله إزاء الرد الوقح فى وسائل الإعلام

أفضل طريقة لتنجح فى مواجهة الرد الوقح الذى يملأ وسائل الإعلام هو أن تبدأ بمشاهدة البرامج والأفلام المحملة بالرد الوقح مع أطفالك . وأخبرهم ـ بعد انتهاء العرض ـ أن هذه الطريقة فى الحديث التى تم عرضها لن تكون مقبولة فى عائلتك . ومن الممكن أن تقول : " أعتقد أن تلك الطريقة فى الحديث قد تكون مناسبة لهذه العائلة التلفزيونية ، ولكنها ليست كذلك فى عائلتنا " . وكن واضحاً جداً بشأن الجزء الذى يحوى رداً وقحاً لا تحبذه .

على سبيل المثال ، فى أحد الأفلام المنتشرة الخاصة بالأطفال والتى لا يجب للأطفال مشاهدتها إلا بإرشاد عائلى ، تطلق الشخصية الرئيسية وابلاً من الرد الوقح العدائى على أحد العاملين فى المجال الاجتماعى ينتهى بأن يناديه الطفل بكلمة بذيئة جداً .

وحينئذ يمكنك أن تقول " إننى أكره طريقة الحديث ، أو الكلام ، أو الإهانة التى استخدمها ذلك الصبى الصغير " ومن الممكن أن يحتج طفلك قائلاً : " ولكن الرجل الذى تم توجيه هذا الكلام إليه لم يكن شخصاً لطيفاً ، ولذا فإنه يستحق الإهانة " .

وتستطيع أن ترد برسالة أو أكثر من بين رسائل عديدة . وهذه خمسة ردود مقترحة :

١. " يستطيع الأطفال قول الحقيقة بطريقة مهذبة دون استخدام الرد الوقح " . وهل مر طفلك بمثل ما مر به الطفل الموجود بالفيلم ؟ وكيف استطاع أن يجعل الشخص الكبير يدرك رأيه فيه دون أن يبدو وقحاً ؟ وتستطيع أنت وطفلك تجريب بعض الأمثلة .

٢. " هذا الطفل عبارة عن شخصية فى فيلم ـ مثل شخصية خيالية فى إحدى القصص ، وليس طفلاً حقيقياً . وذلك النوع من السلوك لا يمكن قبوله فى عائلتنا " . أنت الآن تؤدى عملاً مهماً بفصل الحياة الواقعية عن وسائل الإعلام .

٣. " إن الإهانات ، والردود البذيئة أساليب للحديث لا يمكن تقبلها فى العائلة " . حيث لن يتساءل الطفل أبداً عما إذا كان بإمكانه الإفلات بالإهانات ، والردود البذيئة دون عقاب .

٤. " بإمكانك الضحك على ما يقوله ذلك الطفل ، ولكن لا ينبغى عليك أبداً أن تحدثنى ، أو تحدث أى شخص آخر بهذه الطريقة فى الحياة الواقعية " وبذلك فإنك تخبر الطفل أن ما قد يكون ممتعاً فى الفيلم ليس من الضرورى أن يكون ممتعاً فى الحقيقة .

٥. بعد مشاهدة برنامج قد يقدم رداً غير مهذب من قبل الآباء فى التليفزيون قل : " ينبغى ألا تتحدث إلى الناس بهذه الطريقة مطلقاً . وأنا أعدك أننى ، أو أباك ، أو أى شخص كبير آخر فى المنزل لن نتحدث إليك مطلقاً بتلك الطريقة التى تتحدث بها تلك الأم إلى أطفالها " . فهذا الخيار يقر بأن الرد الوقح للكبار أمر غير مقبول أيضاً .

إن مشاهدة البرامج التليفزيونية والأفلام مع طفلك تتضمن قضاء الوقت مع الطفل والتفاعل معه ـ فكلاهما مهم . كما تساعد هذه العملية الطفل على فهم ما ترغبه وما لا ترغبه ، من أساليب الحديث قبل أن يحاول القيام بها ويواجه إحدى العقوبات .

استخدام وسائل الإعلام كوسيلة تعليمية

١. قم بإحضار شريط فيديو تعرف أنه يحتوى على أمثلة للرد الوقح ، وقم بمشاهدته مع الطفل ، وأمسك بجهاز التحكم عن بعد لتتمكن من إيقاف الشريط فى اللحظة المناسبة .
٢. قم بمشاهدة أحد الأفلام التى لم تشاهدها من قبل مع طفلك ، ووضح له الرد الوقح عند عرضه ، أو اطلب منه أن يحدد ذلك الرد الوقح .
٣. قم بتسجيل البرامج التليفزيونية المحملة برد غير مهذب أكثر من غيرها على شريط فيديو ، وقم بمشاهدتها معه ، وتوقف عند اللقطات التعليمية .
٤. قم بمشاهدة برنامج تليفزيونى يُبَث على الهواء مباشرة معه ، ثم أغلق التلفاز وناقش معه المواقف التى كانت بها ردود غير مهذبة .
٥. تناقش معه حول الإعلانات التجارية التى تعرض أطفالاً يردون ردوداً غير مهذبة .

ألعاب الفيديو والرد الوقح

تقول إحدى الأمهات إن الرد الوقح لابنها قد تصاعد للغاية بسبب ألعاب الفيديو لدرجة أنها وزوجها ينشدان المساعدة . وهذه قصتها :

قصة الحالة الخامسة عشرة : تأثر " رون " الذى يبلغ عشرة أعوام بشكل واضح باثنتين من ألعاب الفيديو التى يفضلها ـ وهما لعبتان للقتال تحتويان على قدر كبير من العنف ومشاهد الدم . وكانت لعبته المفضلة بشكل كبير هى لعبة بها تقمص شخصية ، حيث يجب فيها

أن يكون إنسان آلى ذراعاه ، وساقاه ، والأجزاء الأخرى فى جسده عبارة عن أسلحة فتاكة يستطيع استخدامها لقتل جيش العدو . وكانت اللعبة الأخرى عبارة عن لعبة قتال بكل المقاييس تتضمن شخصيات أفلام الرسوم المتحركة ويمكن إدارتها بحركات مختلفة من خلال أزرار التحكم فى هذه اللعبة .

وينتج عن كلتا اللعبتين عصبيته ، وتوتره أثناء اللَّعِب ، ولكنه كان يتصرف بأسلوب عدائى لساعات طويلة بعد أن ينتهى من لعبة الإنسان الآلى . كما أدت هذه الألعاب إلى رده بوقاحة لدرجة أن والديه وجدا أن الأمر خطير جداً . وقد كان يقول لوالدته عندما تطلب منه أن يضع متعلقات لعبته فى مكانها المعتاد " كفى كفى ! " وقد كان من بين الردود الوقحة المعتادة بعد لعبة أخرى هو " إننى مشغول " ، و " لست بحاجة لهذا " .

وفى النهاية أدرك والداه أن " رون " كان يتخيل نفسه لساعات عديدة بعد التوقف عن هذه اللعبة أنه الإنسان الآلى الذى يهدد الأعداء ويملك القوة الفائقة التى سينقذ بها الأرض . وتقول والدته : " لقد كان يلعب قبل أن يذهب للمدرسة ثم نضطر لسحبه من أمام الجهاز - وهو يرد رداً وقحاً بكثرة - ليلحق بسيارة المدرسة . وفى اللحظة التى يعود فيها إلى المنزل بعد الظهر يعود للعبة ويجلس أمامها إلى أن نعود من العمل ، ونجبره على الانصراف عنها لتناول الغداء " . وكانت جليسة الأطفال - والتى كانت لطيفة على نقيضنا - تسمح لـ " رون " باللعب ؛ لأنها لم تكن بحاجة لملاحظته وهو يفعل ذلك . وتتحسر أمه قائلة : " ولكنى على كل حال أشك إن كان لديها ما يحمله على فعل أى شيء آخر ، فقد كان مكرساً نفسه تماماً للعبة ، ويهتاج بشكل لا تستطيع الجليسة أن تتغلب عليه أبداً " .

ولم يدرك الوالدان أنه يجب عليهما التصرف بحزم إلا بعد أن اشتكت معلمة " رون " من رده الوقح فى المدرسة ، فقد قالت معلمته

إنها ستضطر لطرده من المدرسة إن لم يكف عن الرد الوقح . وأضافت أن المدرسة مكان محترم ولا تسمح بمثل هذه السلوكيات .

ولذا بدأ والدا " رون " فى تطبيق " برنامج الخطوات الأربع " وكانت العقوبة التى يتم تطبيقها بسبب رده الوقح بعد اللعب هى حرمانه على الفور من اللعب طوال اليوم . وبإمكانه فى اليوم التالى أن يحاول السيطرة على رده الوقح . وتوقف " رون " عن الرد الوقح تماماً بعد حرمانه من ميزة اللعب كل يوم لمدة أسبوع .

كما قام والداه بإلحاقه ببرنامج إعداد للعب كرة السلة فتقول أمه : " لقد عثرنا على معسكر بعد المدرسة موجه للاهتمام بكرة السلة ووضعنا له سلة فى الفناء الخلفى لمنزلنا . إنه الآن فى إحدى فرق الشباب بالدورى وعادة ما يكون مشغولاً ، ومرهقاً ، وسعيداً ـ فمهارته تتحسن طوال الوقت ـ لدرجة أنه لم يعد يهتم بألعاب الفيديو " . وتقول أمه : " إنه الآن يعتبر ألعاب الفيديو شيئاً يلعب به الأطفال الصغار ، ولكنه الآن ناضج ، ولكنه كان سيقضى فى الألعاب وقتاً أكثر من ذى قبل إذا لم نفعل أى شيء للتغلب على هذه المشكلة " .

وتوضح هذه القصة أن ألعاب الفيديو ـ ومعظمها يتميز بالقتال المستمر ، ومشاعر الكراهية ، والتنافس باستمرار ـ من الممكن أن تؤدى إلى استخدام الرد الوقح كنوع آخر من الأسلحة .

اللقاءات الحوارية والرد الوقح

تحتاج البرامج الحوارية ـ مثل ألعاب الفيديو ـ إلى جزء منفصل فى هذا الفصل الذى يتحدث عن وسائل الإعلام والرد الوقح . وغالباً ما تتعلق اللقاءات الحوارية كثيرة الأزمات ، والمثيرة بالتعامل مع الأطفال وكثيراً ما يُظهر الأطفال الذين تعرضهم هذه البرامج مهارة فى الرد

بطريقة غير مهذبة على والديهم ، أو المضيف ، أو الجمهور من بداية البرنامج وحتى نهايته .

وعموماً ينغمس الأطفال فى هذه البرامج فى أربعة أنواع من الرد الوقح :

١. **السخرية :** تقوم كاميرا بعيدة عن المسرح بعرض لقطات للأطفال وهم يضحكون ، ويبدون ملاحظات ساخرة ، وهم يشاهدون والدتهم على الشاشة وهى تروى قصتها عن سلوك الأطفال ممن يصعب مراسهم . وكلما زادت القصة سوءاً أصبح الأطفال ـ وهم لا يزالون وراء الكواليس ـ أكثر بهجة ومقلدين لأمهم بطريقة ساخرة وهى تروى القصة وهى تنتحب .
٢. **لغة الجسد الوقحة :** وعلى المسرح ، يطلق الأطفال العنان لحركات الجسد مثل : الدوران بمقلتى العين ، وهز أكتافهم بلا مبالاة ، والإيماء برءوسهم عندما تناشدهم الأم أن يدركوا ما يسببه سلوكهم للأسرة ، أو الأم ، أو المعلمين ، أو أى شخص آخر يهتم بهم .
٣. **إشعار الآخرين بالخزى :** يتم اتهام الأم بالحماقة ، فجملة مثل : " أف ، إنك لا تعرفين أى شىء " هى رد مُسكت شائع من الأطفال لأمهاتهم فى البرامج الحوارية ، أو أى شىء آخر من هذا القبيل .
٤. **امتلاك القول الفصل :** لا ينتهى الرد الوقح فى البرامج الحوارية عندما تطلب الأم ذلك ، بل ينتهى عندما يقرر الطفل ذلك . وتتضمن جمل الرد الوقح التى تنهى الحوارات جملاً مثل : " إننى لا أهتم " ، و " دعينى أذهب للعيش مع أبى " . وهناك جملة أخرى تنهى

الحوارات وهى تُوجه فى الغالب للأمهات الحوامل : " قد تحاولين إجبارى على البقاء بالمنزل مع طفل رضيع ، ولكننيِ لن أفعل ذلك " . ثم ينظر الطفل الذى يرد رداً وقحاً إلى أطراف أصابعه ، أو يستلقى بظهره ، أو يهز ساقيه ويرفض أن ينطق بكلمة أخرى ويبدو راضياً جداً عن نفسه . ولِمَ لا ؟ فكل ما حوله يقع تحت سيطرته .

وفى هذه اللحظة يمكن الاتصال بإخصائى نفسى فى أحد البرامج الحوارية . وعادة ما تكون نصيحة هذا الخبير للأم والطفل هى أنه ينبغى أن ينصت كل منهما للآخر وينشدا الاستشارة . وعندئذ يحذر هذا المعالج بصرامة أنه يجب أن تسيطر الأم على الطفل ، وإلا فإن الطفل سينضم للأطفال الجانحين فى الشوارع ، وينتهى الحال بالأم فى جناح بمستشفى الأمراض العقلية إن لم تمت . ومثل تلك الطرق العلاجية قصيرة المدى والتحذيرات طويلة المدى يقدمها الإخصائيون النفسيون فيما يقرب من خمس عشرة دقيقة . وقد يؤكدون بوضوح أن كلا من الأم والطفل بحاجة لمساعدة متخصص قبل أن ينتهى البرنامج .

وتبرز هذه البرامج بشكل قوى ومؤثر ما الذى يمكن أنْ يحدث عندما يفشل الوالدان فى كبح الرد الوقح من خلال تطبيق عقوبات عليه ، ففى أحد البرامج الذى كان عن فتيات سلوكهن خارج السيطرة ، هددت " سالى جيسى فييل " بأنها ستطرد الطفلة من البرنامج إذا ما واصلت الرد الوقح . ولكنها لم تنفذ تلك العقوبة مطلقاً ، وبذلك استمر الرد الوقح .

فناشدت " سالى جيسى " الطفلة وهى تحاول أن تجرب وسيلة أخرى قائلة : " انظرى كيف أبكيت أمك " عندما كانت الأم تتنهد

وبحاجة لمن يعطيها منديلاً لتمسح دموعها ، فردت المراهقة الوقحة وهى تهز كتفيها فى لا مبالاة ، وقالت إن دموع أمها مشكلتها هى .

يجب أن يفهم أطفالك ـ إذا شاهدوا هذه البرامج ـ أنك كوالد لن تسمح أبداً للأمور بأن تصل إلى هذا الحد ، وأنهم كأطفال لن يُسمح لهم أبداً بمصاحبة طفل وقح كهذا .

وبالإضافة للحديث مع أطفالك عن وسائل الإعلام ، فإنه يجب أن تجد طرقاً تجعل حياتهم مشغولة جداً ومثمرة (وقد فعل والدا " رون " ذلك عندما قاما بإلحاقه بفريق كرة السلة) مما لا يمكنهم ، ولا يجعلهم يرغبون فى تقليد نوعيات الأطفال الذين يشاهدونهم على شاشات التلفاز ، والسينما ، ولا يرغبون فى ذلك بالفعل .

١١

التعامل مع الرد الوقح للأبناء فى مرحلة الجامعة

سواء انتقل الأبناء إلى الجامعة أو استقلوا عن العائلة ، فإن الكثير من طلاب الجامعة - خصوصاً الطلاب الجدد - يردون رداً وقحاً على آبائهم بطريقة واضحة ، ولا يمكن تحملها . ويتسبب الرد الوقح من طلاب الجامعة فى شعور الآباء بأنهم تقدموا فى العمر ، وأصبحوا من طراز قديم ، وعاجزين عن أن يرقوا إلى مقاييس الكبار التى تعجب الأبناء فى هذه المرحلة . وحتى إذا أنفق الوالد عشرات الآلاف من الدولارات فى العام الواحد من أجل تعليم ابنه ، فإن الابن سيستمر فيما نسميه بالرد الوقح من الأبناء فى الجامعة .

فطلاب الجامعة يميلون إلى الرد بوقاحة على آبائهم ، حتى وإن لم يكونوا قد فعلوا ذلك من قبل ، وهذا بسبب واحد ، أو أكثر من الأسباب التالية :

- أنهم يقضون الكثير من الوقت مع أصدقاء جدد .

- أنهم يحددون هويتهم ، ويعيدون تكوين شخصياتهم بشكل مختلف .
- أنهم يشعرون بضغوط لم يشعروا بها قط من قبل .
- أنهم مقتنعون بشدة أنك ـ كوالد ـ ليس لديك أية فكرة عما يمرون به .

وبمعنى آخر ، فإنهم يصبحون أشخاصاً جداً مسئولين عن أنفسهم ويستقلون بحياتهم للمرة الأولى . ونظراً لأنهم بالغون فى مقتبل العمر مناظرون لك (تقريباً) ، فإنهم غالباً ما يختبرون مدى قوتك باستخدام تصرفات مثل الرد الوقح .

ولكن بالطبع ، يعتقد هؤلاء الطلاب أن لديهم أسباباً قوية لمعاملتك بأسلوب غير مهذب . وهناك الأسباب المحددة . إننا نعلم بالطبع ـ أن الكثير منها تبدو أموراً سطحية ولكن الكثيرين من طلاب الجامعة يأخذونها مأخذ الجد .

كفاءتك الأكاديمية محل شك . ألم تسمع من قبل عن " سبينوزا " ؟ وتقدم نفسك للناس طوال هذه السنوات موهماً إياهم بأنك حسن الاطلاع .

فلا شيء أفضل من مقرر دراسى جيد شامل فى الحضارة الغربية ، أو الأدب الإنجليزى ، أو تاريخ الفن ـ وقد يدرسها الطالب المستجد جميعاً ـ تجعل الطالب يشعر بأنه يعلم كل شيء وأنتم أهل بيته لا تعرفون شيئاً .

فيخبرك قائلاً : " لا أستطيع أن أصدق أنك لا تزال تعتقد أن " كارل ماركس " رجل سيئ ـ أو أنك ترفض استبدال الستارة ذات الرسوم التقليدية بستارة ذات رسوم تكعيبية ، فيصرخ بطريقة تدل على الاشمئزاز والشجب قائلاً : " إنكم ضيقو الأفق " ، وإذا لم يكن قد تعلم تلك الكلمة بعد ، فإنه قد يطلق عليكم لفظ " جهولين " أو أى

شىء من هذا القبيل ، مثل : " إنكم ذوو تفكير سطحى وتشعرون أنتم أيها الآباء يا من اقتصدتم فى إنفاق الأموال ، وادخرتموها ، وخططتم اقتصادياً وقضيتم أيامكم دون الاستمتاع بملذات الحياة ليتمكن ابنكم من الحصول على هذه الخبرة ، وهذه العبارات تسبب شعوراً شديدا بالألم . وإذا لم يتفوه بما سبق ، فإنه قد يستمر فى الدوران بمقلتى العين وهو يقول " أف " بطريقة تسبب الكثير من جرح المشاعر لكما .

معتقداتك من الطراز القديم بشكل مخيب للآمال . لقد ربيتِ ابنك على استهجان الغشاشين ، والآن يتفاخر زميله فى الحجرة أنه لم يكتب واجباته أبداً . وفجأة تبدين وكأنك من طراز قديم وقاسية القلب ، فيقول ابنك : " إنكِ لا تدركين أنتِ وأبى أن الانخراط فى المجتمع سواء فى الجامعة أو العمل هو أمر مهم تماماً مثل الحصول على درجات عالية . وإذا كان ذلك يعنى أن أقوم بطلب المساعدة من بعض الأفراد لأداء عملى فهذه إدارة جيدة للأمور " .

لم يُعد ابنك إعداداً جيداً . حيث يرى ابنك أنه خطؤك أنك لم تُحضر له المعلمين الخصوصيين المناسبين ، ولم تعلمه الفضائل الاجتماعية القويمة ، ولم تبتع له الملابس المناسبة ، أو السيارة المناسبة ، ولا تعرف قواعد التعامل مع المجتمعات الراقية .

إعاقة دراسة الابن لحياته الاجتماعية . فهو يخرج كل ليلة مع أصدقائه حتى الثانية مساء ، ثم ينام فى اليوم التالى طوال فترة الصباح حتى تفوته المحاضرات الصباحية . وهو بالفعل يشعر بالذنب ويعرف أن لديك حقاً فى الثورة ويبادر بالثورة ضدك . ومن ثم فإنه يقرر أنك لن تدرك أبداً واقع الحياة الجامعية فى الوقت الحاضر .

فليطمئن قلبك ، فجميع هذه السلوكيات مجرد مراحل يمر بها ابنك ، فإن الطالب سرعان ما يكتشف أنه كثيراً ما يتم ضبط الغشاشين وهم متلبسون بفعلتهم ، أو لابد أن تحدث مواجهة لهم مع المعلم الذى يجبرهم على أداء واجباتهم فى الفصل ، وأن الحياة الاجتماعية فى

الجامعة كثيراً ما تكون مزعجة أكثر من كونها مفيدة ، وأن إقامة الحفلات طوال الليل ستتسبب فى رسوبه فى امتحان أكاديمى بعد فصل دراسى واحد فقط .

إلا أنه لا يوجد عذر يبرر الرد الوقح لطلاب الجامعة . فقد يكون بمقدورهم الانقطاع عن الدراسة أو مرافقة أصدقاء غير ملتزمين ، وفعل ما يحلو لهم فى الجامعة ولكن لا ينبغى أن يسمح لهم بالرد الوقح على آبائهم .

كيفية التغلب على المشكلة

مهما كان سبب الرد الوقح لابنك ، فإنه يمكنك البدء فى برنامج الخطوات الأربع بمجرد أن تتعرض لذلك الرد .

وإحدى العقوبات المنطقية التى يمكنك تطبيقها هى أن تطرده من المنزل إذا كان يعيش معك ، ولا تطلب منه ذلك ؛ لأنه لن يصدق أنك تعنى ما تقول . فما عليك إلا أن تضع أغراضه فى الفناء وتقوم بإعادة ترتيب حجرته لاستخدامها كحجرة حياكة ، وابدأ فى استخدامها . وينبغى أن تستغرق العملية كلها أقل من أربع ساعات . ويجب أن تتأكد أنها ستكون أربع ساعات رهيبة لأنها ستكون كذلك بالفعل . وفى ذلك الحين يمكنك أنت وابنك الذى فى سن الجامعة التواؤم مع حياتكما معاً .

وتوضح القصة التالية طريقة استخدام إحدى الأمهات لهذه النتيجة :

قصة الحالة السابعة عشرة : كانت " هيلارى " ، و " جاك " وابنهما " بارت " متقاربين دائماً مع بعضهم ويشتركون فى حب الرحلات وألعاب الطاولة والأفلام الكوميدية مما جعلهم يستمتعون بصحبة بعضهم بعضاً بمرور السنين . وعندما كان " بارت " فى

المدرسة الثانوية ، كان أحب أصدقائه إليه فى دائرة اهتمام العائلة دائماً . ونتيجة هذه العلاقة السعيدة ، كانت " هيلارى " ، و " جاك " دائماً ما يؤكدان أن " بارت " سيبقى بالمنزل عندما ينتقل إلى الجامعة الإقليمية القريبة . وكانت هذه الجامعة متميزة ، وذات مكانة مرموقة ـ مما لا يدع سبباً يجعل " بارت " ينتقل إلى جامعة خارج المدينة حتى إن كان بمقدور والديه تحمل مصروفاتها .

ولكن فى عطلة إحدى المناسبات الدينية بينما كان " بارت " فى العام الأول له فى الجامعة ، تمنى كل من " هيلارى " ، و " جاك " أن يذهب " بارت " إلى جامعة بعيدة ـ فى أى مكان ولكن ليس فى المدينة التى يعيشون فيها . وتتذكر " هيلارى " فتقول : " لقد اعتاد على مضايقتنا فى الماضى ، وكان ينتج عن مضايقته أحياناً ألم شديد ولكن المضايقة لم تكن تخلو أبداً من دعابة أو حب . وكنا نضايقه بالمثل " وتصر " هيلارى " على أن مضايقة " بارت " لهم لم تكن تشبه الرد الوقح أبداً فقد كان فقط يمزح معهم ، وهناك فرق .

ولكن منذ أن بدأ " بارت " فى الالتحاق بالجامعة ، أصبح مزاحه رداً وقحاً . فتتذكر " هيلارى " والدموع تنهمر من عينيها فتقول : " كان هذا عندما نطق به للمرة الأولى ونحن نجلس على المائدة فى انتظاره ليتناول طعام العشاء معنا وعندها دخل وبصحبته فتاة ، وقال : " ما هذا ؟ ألا تستطيعان تناول الطعام بدونى ؟ أيجب عليكما الانتظار حتى أعود ؟ سأكون بالأسفل لمدة ساعتين ولا أريد أن يزعجنى أحد " . وبهذا صعد " بارت " والفتاة التى يقدمها لوالديه إلى حجرته ، وأغلق الباب ولم يهبطا منها إلا فى حوالى الخامسة والنصف فجر اليوم التالى ، عندما رأتهما " هيلارى " وهما يتسللان بخفة إلى السيارة . وتقول " هيلارى " : " لقد كنت أشك أنه كان ثملاً عندما تحدث إلينا بتلك الطريقة ، ولكنه جرح مشاعرنا تماماً " .

ومن هول المفاجأة ، لم يكن لدى " جاك " و " هيلارى " أية فكرة عن الطريقة التى يجب أن يتصرفا بها إزاء هذا . ولكن بعد العديد من مثل هذه المواقف وبعد عطلة إحدى المناسبات الدينية التى استخدم " بارت " فيها الرد غير الملائم بوقاحة شديدة معاتباً إياهما على عجزهما عن توفير مال له لرحلة تزحلق على الجليد يستمتع بها جميع أصدقائه فى الإجازة ، قررا تطبيق إحدى العقوبات .

فتقول " هيلارى " عندما عاد " بارت " إلى المنزل بعد انتهاء يومه الدراسى فى يوم الاثنين بعد عطلة إحدى المناسبات الدينية وجد جميع أغراضه فى الحديقة ، فقد حزمتها له فى صباح ذلك اليوم . فصُعِق من المفاجأة وقال إنه بحاجة لبعض الوقت ليعثر على مكان آخر يعيش فيه ، فقلنا له : " ارحل الآن " ولم نسمح له بالمناقشة . وعندما بدأ بالتوسل إلينا بأنه لا يوجد أى مكان آخر يذهب إليه ، استدرنا ودخلنا المنزل ، فلحق بنا فى الداخل وقال إنه سيكون لطيفاً معنا بعد ذلك إذا سمحنا له بالبقاء فى المنزل فرددتُ عليه بأن أباه قد حول حجرته إلى حجرة مكتب بالفعل .

وأخيراً لم يجد " بارت " بُداً إلا أن يضع أغراضه فى سيارته وينطلق بها ـ ولكن هل تحول " بارت " إلى إدمان المخدرات ، أو الجريمة ، أو إلى مرافقة أصدقاء مشبوهين ؟ وهل تم فصله من الجامعة ؟ وهل حدث شيء من العواقب الوخيمة التى كانت تتنبأ بها " هيلارى " أو أمها أو العديد من أصدقائهما ؟

وتحكى " هيلارى " ما حدث فتقول : " عثر " بارت " على ثلاثة من الشباب لديهم شقة بحاجة لمن يرافقهم فى السكن . وحيث إنه لم يكن بها سوى حجرة نوم واحدة فقط ، فقد اضطر إلى النوم على الأرض فى حجرة المعيشة فقد كانت الأريكة مشغولة بالفعل . ثم عثر على وظيفة فى اتحاد طلابى لحمل الأطباق المتسخة عن المائدة ليتمكن من دفع ما عليه من الإيجار والخدمات الأخرى . وفى الفصل الدراسى

الأول حصل على تقدير ضعيف فى أربع مواد وتقدير جيد جداً فى مادة واحدة ، وتم وضعه تحت المراقبة الأكاديمية من قبل الجامعة " .

وبينما هو فى الصف قبل الأخير من الجامعة ، انتقل " بارت " للعيش فى إحدى المدن الجامعية وكان يعمل بدوام جزئى أثناء الدراسة لصالح إحدى الهيئات الحكومية وكان يأمل فى أن يعمل بها بدوام كامل بعد تخرجه وفى أثناء ذلك كان قد نجح فى زيادة درجاته . ثم خطب فتاة تعرف عليها أثناء عمله فى الاتحاد الطلابى . وتضيف " هيلارى " بأن أياً من هذه التطورات ليس مثيراً مدهشاً ، ولكنه أفضل كثيراً مما كان يحدث وهو فى السنة الأولى له فى الجامعة . ونحن نعتقد أن طردنا له من المنزل أجبره على تحمل مسئولية حياته بطريقة لم يكن ليقوم بها لسنوات .

ومن المحتمل أن يكون الرد الوقح لـ " بارت " إشارة إلى أنه بحاجة للتفرد ـ أى أن يصبح شخصاً مستقلاً عن والديه ، إلا أنه لا يجب أن يكون الرد الوقح هو الطريقة المستخدمة فى تحقيق ذلك .

وإذا كان الابن الجامعى يعيش بعيداً عن المنزل ـ فى شقة أو فى مدينة جامعية ـ لكنه مستعداً للرد الوقح عندما يأتى لزيارة العائلة . فغالباً ما يعود الأبناء الذين يعيشون بعيداً عن المنزل أشخاصاً مختلفين فى الزيارة الأولى لهم . وكثيراً جداً ما يرد هؤلاء الأشخاص الجدد رداً وقحاً فى كل فرصة تسنح لهم لذلك حتى أمام الضيوف الذين يحضرونهم معهم إلى المنزل .

وهنا تتضح أهمية برنامج الخطوات الأربع . إلا أن اختيار العقوبات قد يمثل صعوبة ، فهى تختلف عن اختيار عقوبات لطفل لا يزال يعيش معك تحت سقف واحد . إن طالب الجامعة شخص بالغ لديه إرادة وعقل وفى حالات كثيرة يملك سيارة وعملاً خاصاً به . وهذه بعض الأفكار لاختيار العقوبات ، وبعضها صارمة ، والأخرى بسيطة والبعض الآخر متوسط بين الاثنين .

العقوبات الصارمة

- " هذه الطريقة فى الحديث مرفوضة فى منزلنا ، ونتيجة لذلك فإننا لا نرغب فى بقائك هنا باقى إجازتك . أنتظر منك الخروج من هنا فى غضون ساعة " وإذا لم يخرج الابن فى غضون ساعة ، فقم بحزم أغراضه ، وضعها فى الفناء .
- " نحن نرفض هذه الطريقة فى الحديث ، وبسببها ، فإننا لا نستمتع بحصولك على هذه الإجازة . وسوف نقلك (أو نوصلك إلى الطائرة) للعودة بك إلى الجامعة فى صباح الغد " .
- " نحن نرفض هذه الطريقة فى الحديث . ونحن لا نرغب فى قضاء إجازة أخرى ونحن نعانى الألم بسببها . وقد قمنا اليوم بشراء تذكرتين إلى " مايوركا " وسوف نغادر فى اليوم الأول من إجازتك القادمة . وسوف تبقى معك العمة " هيستر " ووالداها أثناء رحلتنا . ومن فضلك قم بعمل ترتيبات أخرى لإجازتك ؛ لأنك لن تتمكن من العودة للمنزل " .

العقوبات البسيطة

- " نحن نشعر بالاستياء لأنك قلت إننا لا نقرأ الكتب المهمة . ولكى نروح عن أنفسنا بسبب ذلك الاستياء ، فإننا سنذهب إلى قاعة الرقص فى

المنتزه . لقد قلنا إنه يمكنك استقلال السيارة الليلة ولكننا قررنا استقلالها بأنفسنا بدلاً من ذلك " .

- " لقد شعرتُ بالاستياء عندما قُلت إن كل ما أهتم به هو الروايات الرومانسية . ولكى أخفف من هذا الشعور فإننى سأقضى اليوم كله غداً فى معرض الزهور . وأعلم أننى أخبرتك بأننى كنت سأعد طعام الحفل الخاص بلقاء أصدقائك من المدرسة الثانوية ، ولكننى رأيت أن الذهاب إلى معرض الزهور أهم بالنسبة لى من إعداد الطعام " .

العقوبات المتوسطة

- " لقد جُرح شعورنا عندما قلت بتهكم إن اللوحة فى حجرة المعيشة ما هى إلا ديكور وليست فناً ، وبعد ذلك استمررت فى انتقاد باقى الديكور الداخلى فى منزلنا الذى نستمتع به دائماً ، ولذا فإننا لا نرغب فى قضاء المزيد من الوقت معك فى هذه الإجازة . وقد قررنا أن نقضى اليومين القادمين فى جولة فى متحف الفن فى " فونيكس " . وبالطبع نعلم أنه يمكنك استقبال المزيد من أصدقاء الدراسة فى هذين اليومين ، ولكن حيث إننا لن نكون هنا ، فإنه يجب أن تخبر أصدقاءك ليغيروا خططهم .
- " إننى أكره أن تخبرنى أننى سيدة منزل كهلة واستهلاكية ، ومدمنة لمشاهدة التلفاز ، ولذا فإننى سأنظم حفلة للذهاب إلى المسرح فى كل ليلة من الأيام الباقية فى إجازتك ، وبالطبع سأستقل

السيارة . وأنا متأكدة أنك تستطيع اتخاذ ترتيبات أخرى للتنقل ، وتناول الوجبات خلال فترة وجودك هنا " .

- " لقد استأت من سماعك تقول إن الطعام الذى أقوم بطهيه دهنى ، وعفى عليه الزمن ، وروتينى . ولذا فلن أعد لك طعاماً بعد ذلك خلال هذه الإجازة . وأعلم أننى قلت إننى سأقوم بإعداد عشاء عيد الشكر القادم ، ولكننى قررت أن أتناوله بالخارج " .

وكما عرفت الآن ، فإنه يجب أن تستمر فى العمل بهذه العقوبات وأن تنسحب من النزاع بسرعة ؛ لأن طلاب الجامعة هم أكثر الناس إلحاحاً فى العالم . فمن المعروف عنهم أنهم يتتبعون المعلمين خارج قاعة الدراسة ، وخارج المبنى كله ، وفى سياراتهم إلى أن يحصلوا على وعد بتغيير درجاتهم . ومثل هذا الإصرار هو الذى يجبرهم على المرابطة لأيام فى كل مناسبة لشراء تذاكر حفلة موسيقية ، أو للذهاب إلى " نيبال " فى رحلة لمدة عشرة أيام ومعهم تسعة وعشرون دولاراً فقط ، وزوج من الأحذية الرياضية ، والقليل من الطعام .

ولكن فلتبتهج فإن برنامج الخطوات الأربع لا يجدى فقط مع أبنائك الذين فى الجامعة ، ولكنه الحل الوحيد الذى يجدى مع جميع الأولاد باختلاف مراحلهم العمرية .

١٢

التعامل مع الرد الوقح للأبناء الراشدين

إذا لم تكن قد تعاملت مع الرد الوقح لابنك بعد ، فلتتذكر أنه لم يفت الأوان لتبدأ فى هذا . يجب عليك أن تداوم على التعامل مع الرد الوقح إذا كنت تأمل تحقيق علاقة جيدة مع ابنك وهو شخص راشد . وإذا تجاهلته ، فإنك بذلك تضع الأساس لعلاقة هشة مع هذا الابن طوال ما تبقى من حياتك .

فالعديد من الأبناء الراشدين يحاولون الرد بطريقة غير مهذبة ، وهناك على الأقل ثلاثة أسباب لذلك وهى :

إن الابن الراشد يرغب فى أن تواصل معاملته كطفل . فعادة ما يحصل هذا الابن على ما يريد أثناء سنواته الأولى . وعلى الرغم من معاملته السيئة لك ، فإنه يتمتع بشكل واضح بمكانته كأهم شخص فى حياتك ، وليست لديه النية فى التنازل عن ذلك . ورده الوقح هو طريقته ليثبت لك أنه لا يزال هو المتحكم فى هذه العملية . وتوضح

القصة التالية مدى قوة الرد لهذا الابن وكذلك أفضل العواقب الممكنة معه .

قصة الحالة الثامنة عشرة : كان " تشاد " هو الابن الوحيد المحبوب لـ " جاى " و " كارول " . ترعرع " تشاد " وهو يشعر بالحرية فى أن يتصرف كما يحلو له - بالحرية أيضاً فى الرد بوقاحة عليٍ والديه كيفما شاء . وبعد طلاق والديه ، أصبح " تشاد " أكثر قرباً من أبيه " جاى " منذ ذلك الحين . وبدأ " جاى " بعد تقاعده فى مساعدة " تشاد " فى شركة التسويق الخاصة به ، حيث حقق للشركة الصغيرة نجاحاً باهراً فى سنوات قليلة جداً . وفى أحد الأيام عندما كان " الأب " قادماً للعمل ، طلب منه " تشاد " العودة للمنزل . فقال الأب إن مجرد جلوسه فى المكتب يمنحه شعوراً بأن له فائدة ، فرد " تشاد " بطريقة بذيئة " أبى ، لا أريد منك الحضور إلى هنا كل يوم ، فمن المفترض أن تبدو شركتنا فى صورة شابة ، ومفعمة بالحيوية - وأنت تشوه هذه الصورة بعض الشىء عندما تكون هنا " .

فُزعت موظفة الاستقبال فى شركة " تشاد " والتى كانت أيضاً خطيبته ، فصرخت فيه قائلة : " كيف يمكنك التحدث إلى أبيك بتلك الطريقة ؟ "

فقال " تشاد " باعتزاز : " أبى معتاد على هذا منى . أنا طفله المزعج . بالإضافة إلى أنه يجب أن أخبره بالحقيقة القاسية ، أليس ذلك يا أبى ؟ "

فابتسم " جاى " ورحل وهو يقول : " حسناً " . ثم اتجه مباشرة إلى مكتب محاميه ، وقام بعمل الترتيبات اللازمة ليقطع كل ما يربطه بشركة " تشاد " وقام بسحب كل ما يستثمره فيها من أموال . أصيب " تشاد " الذى لم يواجه أى عقوبة مطلقاً على رده الوقح من قبل بالذهول ، واعتقد أن والده قد يراجع نفسه ، ولكن " جاى " استمر

فى تطبيق هذه العقوبة ، وانسحب من النزاع بعدم الرد على المكالمات الهاتفية المحمومة من " تشاد " . ثم دخل الأب فى شركة مع رجل فى مثله سنه ، ويعمل بجد . و الآن يتدبر " تشاد " أمره بشق النفس ، ووجد أن دخله قد تناقص بمقدار الثلثين .

أن الابن البالغ لا يزال يحاول التفرد . وغالباً ما يكون الأبناء الراشدون الذين يردون رداً وقحاً نتيجة هذا السبب متعلقين بآبائهم بشدة . فكل واحد منهم يتصل هاتفياً بوالده على الأقل مرة فى اليوم ويقوم الآباء والأبناء بقضاء الإجازات معاً . كما أن كلا الطرفين يحضر المناسبات الاجتماعية الخاصة بالآخر حتى وإن كان بلا دعوة ؛ لأن كلاً منهما متأكد أن جميع الأشخاص الآخرين فى حياتهم سيكونون فى شوق لمقابلة هذا الوالد أو هذا الابن .

ولكنه على الرغم من كل هذه السعادة ، فإن الطفل يكافح لينفصل عن والديه ويكون شخصيته الخاصة به ، ولذا فهو بحاجة للهروب من هذه العلاقة . وهذا الكفاح أمر مروع لأنه يتسبب فى شعوره بالذنب من ناحية ، وبالغضب من ناحية أخرى . وتوضح قصة الحالة التاسعة عشرة كيف يمكن أن تتخذ هذه المحاولة للهروب من التعلق بأحد الوالدين شكل الرد الوقح :

قصة الحالة التاسعة عشرة : كانت " ريلا " وأمها " نان " على خلاف خلال سنوات المراهقة الصعبة لـ " ريلا " عندما كانت تعيش مع أبيها الذى تزوج من امرأة أخرى . ولكن " ريلا " لم تألف زوجة أبيها ـ والتى لم تكن تكبرها كثيراً ـ فانتقلت للعيش مع أمها .

ولأسباب عديدة ، قد يكون من بينها شعور " نان " بالوحدة ، وشعور " ريلا " بأن زوجة أبيها قد احتلت مكانتها فى قلبه ، أصبحت " ريلا " وأمها مثل الأختين ، فبدأتا فى ارتداء نفس الملابس والقيام بتصفيف الشعر بنفس الطريقة ، وكذلك قضاء جميع أوقات فراغهما معاً . وعندما يقوم أصدقاء " نان " بدعوتها لتناول الغداء أو

الذهاب إلى السينما ، كانت لا تذهب إلا بصحبة ابنتها . وإذا وجدت " نان " أن أصدقاءها لم يسعدوا برؤية " ريلا " كما ينبغى ، كانت تشعر بالغضب ، وتتوقف عن مقابلتهم . وأصبحت " نان " و " ريلا " كما لو كانتا قد أبرمتا صفقة بأنه لا حياة خاصة بـ " نان " خلال السنوات التى تعيشها " ريلا " معها . ولكن " نان " ـ كما أخبرت أصدقاءها القلائل الذين ظلوا على اتصال بها ـ اعتقدت أن هذا الأمر هو الأفضل . وبدا الأمر وكأن " ريلا " تحصل على التربية والرعاية التى لم تحصل عليها خلال طفولتها ، حيث بدأت تعاودها الثقة فى نفسها والتى تختلف عن السابق . كان من الطبيعى أن حصلت " ريلا " على وظيفة فى أحد المستشفيات بعد تخرجها بوقت قصير ، وانتقلت على الفور لتعيش على " الساحل الغربى " .

وبعد حوالى ستة شهور ، وباشتياق إلى لقاء حنون مع ابنتها التى تفتقد صحبتها كثيراً جداً الآن ، ذهبت " نان " لزيارة " ريلا " وقابلتها " ابنتها " فى المطار برفقة رجل شاب كان زميلاً لها فى المستشفى .

وقالت لأمها بلهجة آمرة ، بينما كان الرجل فى انتظار حمل حقائبها : " والآن ، لا يجب أن يساورك أى شىء عنى وعنه " .

فقالت : " نان " وهى تضحك معتقدة أن " ريلا " تمزح معها : " إننى لم أفكر فى ذلك مطلقاً " .

فردت " ريلا " بحدة قائلة : " إننى أعرفك جيداً ، فدائماً ما تدسين أنفك فى كل ما أقوم به ، وتحاولين معرفة كل شىء عن أى شخص أعرفه " .

وبدأت " نان " تتكلم وهى مذهولة من جرح مشاعرها ، وإحراجها قائلة : " عزيزتى " ريلا " .... " .

ولكن " ريلا " استمرت بأسلوب فظ وهى تقول : " حسناً ، يجب ألا تتصرفى بهذه الطريقة هنا . والآن أسرعى ولا تضيعى الوقت سدى .

وكنت أتمنى لو أحضرتِ معطفاً أخف وزناً من هذا الفراء الزائف ، فالجو هنا أدفأ ، فلا داعى لاستخدام ذلك الشيء القديم الثقيل " .

فاقترحت " نان " وهى تتمنى قائلة : " ربما تستطيعين اصطحابى للتسوق هنا " .

فردت قائلة : " أمى ، إذا كنتِ تجهلين طريقة التسوق حتى الآن فلتنسى الموضوع ، فإننى لن أمسك بيديك وأرشدك فى كل شيء طوال حياتك ! "

واستمر هذا النوع من الرد الوقح وتزايد طوال الزيارة . ولأن " نان " لم تكن تعرف أى شيء آخر يجب عليها فعله إزاء هذا الأمر فقد عانت منه طوال هذه الزيارة . ولكن فى الزيارة التالية وبعد عام من الزيارة الأولى أدركت ما يجب عليها فعله . فعند أول هجوم لـ " ريلا " عليها فى المطار ، قالت " نان " : " عزيزتى ، هذه الطريقة فى الحديث غير مقبولة بالنسبة لى ، ولذا فلن أقيم معك أو أقوم بزيارتك خلال هذه الرحلة ، وأتمنى فى المرة القادمة أن نتمكن من قضاء الوقت معاً " .

وبذلك ، قبلت ابنتها قبلة الوداع ، واستقلت سيارة أجرة إلى فندق " ديزنى لاند " ، ولأنها كانت متأكدة إلى حد ما أن هذا سيحدث ، فقد قامت بالحجز فى هذا الفندق قبل عدة شهور من زيارتها . ولم تخبر " ريلا " عن مكان إقامتها ، وتغلبت تماماً على حزنها بسبب عدم وجودها مع ابنتها ، وقامت بزيارة رائعة إلى مدينة " ديزنى لاند " .

واعتقد الكثيرون من أصدقاء " نان " أنها تقوم بمخاطرة كبرى . ولكنها كانت تعرف أن علاقتها مع " ريلا " لم يكن يسودها الاحترام من جانب ابنتها ، فقد كان الرد الوقح غير محتمل وغير بناء وكان يجب تغييره بأية طريقة كانت .

وترى " نان " الآن أن الرد الوقح لـ " ريلا " كان بسبب حاجتها لأن تحيا حياتها مستقلة عن أمها . ومن المحتمل أن " ريلا " كانت

خائفة من أن ترغب أمها بشدة فى أن تكون جزءاً من هذه الحياة الجديدة الشابة التى كانت فى مستهل الاستمتاع بها . فقد كانت تعلم جيداً أن " نان " كانت فى ذلك الحين وحيدة ، وليس لها حياة اجتماعية ، وأنها لم تتمكن بعد من تعويض صداقة ابنتها . ولكن على الرغم من أنه قد يكون لدى " ريلا " الحق فى أن تحيا حياتها بعيداً عن أمها ، فليس لديها حق فى تحقيق هذا من خلال الرد الوقح البذىء .

إن الابن الراشد الذى قد نشأ فى عائلة يكون فيها أحد الأبوين مدمناً للشراب ، فإن هذا الولد يكون منفلت الأعصاب بطريقة أو بأخرى . إن الرد الوقح وسيلة للسيطرة على الآخرين ، فإذا ما تمكن الطفل أن يجعل أى شخص آخر يشعر بالغضب وقتما يريد ذلك ، فإنه يستطيع التحكم فى أفكار ، ومشاعر وسلوك ذلك الشخص . وتوضح قصة الحالة التالية الرد الوقح لأحد الراشدين ، والذى قد يكون نتيجة إدمان أحد الوالدين للشراب :

قصة الحالة العشرين : كان " تشت " مدمناً للشراب منذ أن كان طفلاه فى المدرسة الابتدائية إلى أن أنهيا دراستهما الثانوية . وبعد ذلك انضم إلى إحدى منظمات مكافحة إدمان المشروبات الكحولية والتى لا تُعرف فيها شخصية المدمنين وامتنع تماماً عن الشراب ، ولم يتم مناقشة الأوقات التى كان يتناول فيها الشراب ، ويلقى بقطع الأثاث بعنف ، ويختفى لفترات من الزمن ، ويهدد العائلة بالعنف عندما يعود للمنزل وكان من المفترض نسيان هذه الأوقات . وأخبرت زوجته " أرلين " الجميع بأن أطفالها قد ألقوا بهذه الأيام الخوالى من ذاكرتهم ، وواصلوا حياتهم حتى أصبحوا ناجحين ومهذبين أفضل من أى أطفال آخرين تعرفهم . فقد التحق " تشت الابن " بواحدة من كليات القمة العتيقة ، وأصبح طبيباً فى الأمراض الباطنية ، بينما أنهى أخوه " باول " دراسته فى " مدرسة إيستمان للموسيقى " وأصبح

معلماً فى واحدة من أشهر المدارس الثانوية الحكومية فى " لونج أيلاند " وتزوج كلاهما من سيدتين من نفس مجال عملها ، إحداهما ممرضة ، والأخرى عازفة كمان على الترتيب ، وأصبح لهما عائلتان رائعتان وكانوا يقومون برحلات ، ويحيون حياة ناجحة . وكان حزن " أرلين " و " تشت " الوحيد هو أن " تشت " الابن سرعان ما حصل على وظيفة كبير الجراحين فى مستشفى يبعد عنهم عدة أميال ـ ولكنهما كانا مطمئنين لأنهما سيزورانه كثيراً . وسرعان ما اتصلت بهما زوجة " تشت " بعد انتقالهما لتخبرهما أنها فى انتظار مولود ؛ فقررت " أرلين " أن تؤجل الزيارة حتى ميلاد الطفل .

وتقول " أرلين " : " لقد كنت أعتقد أن كل شيء على ما يرام ، فقد حصلت على كل شيء كما كنت أتمنى ـ إلا أن " تشت الابن " اتصل بى ليخبرنى أننى لا أستطيع زيارتهما عندما ولد الطفل " .

كيف لا يمكن لأمه أن تكون موجودة فى واحدة من أهم لحظات حياتها ؟ وتتذكر " أرلين " ، وتقول : " لقد قال إننى لا أناسبه بالشكل اللائق ، وأننى لا أبدو بصورة حسنة ، ولا أتصرف بشكل لائق ، وقد أتسبب فى عصبية زوجته " . وكانت " أرلين " تعرف أن زوجة ابنها تنتمى لعائلة ثرية جداً ، ولكنها لم تكن تدرك أن هذه المرأة منتقدة إلى حدٍ شديد .

وأضافت " أرلين " وعيناها مغرورقتان بالدموع عندما سئلت إن كانت قد حزنت ، أم لا فقالت : " بالطبع ، فقد استخدم تلك الكلمات معى بالفعل ، وهو ابنى ! لقد كان الألم فوق الوصف " . ولكنها أردفت إنه كان ينبغى عليها أن تستعد لهذا منذ سنوات قليلة عندما أعطاها قائمة بما يجب عليها فعله قبل أن تحضر حفل زفافه كأن تقوم بإنقاص وزنها وتصبغ شعرها ، وتصففه بطريقة معينة ، وأن تشترى فستاناً لحفل الزفاف بلون يتناسب مع الحفل .

وفيما بعد أخبر أحد المعالجين " أرلين " أنه كان عليها أن تأخذ تعليمات حفل الزفاف كأنها تحذير بالفعل فتقول : " قال الطبيب إن الأمر بارتداء فستان بلون معين يتناسب مع الحفل له ما يبرره ، ولكن التعليمات الأخرى كانت تعسفية جداً " .

وعندما غضبت " أرلين " من الرد الوقح الخطير لـ " تشت الابن " قام بتوبيخها بشدة ، فتقول : " لقد كان يصرخ فى وجهى بأشياء مروعة . وكان يذهب إلى ما هو أبعد من الرد الوقح . فقد كان يفعل ما يفعله والده بالضبط عندما يكون مخموراً " .

ولم تنته هذه القصة نهاية سعيدة ، فقد طلبت " أرلين " رؤية المولود ، وأُنعم عليها بالإذن فى رؤيته قبل عيد ميلاده الأول بشهر . ولم يتم دعوتها لحضور حفلة عيد ميلاده الأول ، ولم تطلب هى حضورها . وتنوى " أرلين " أن تقوم بالعناية بنفسها (عبارة شائعة من مبادئ منظمة مكافحة إدمان الكحوليات) بالذهاب لرؤية الطفل الرضيع الذى ترغب فى رؤيته بشدة ، تهم بالمغادرة إذا ما بدأ " تشت الابن " فى الرد بوقاحة . وتقول : " هذا يذكرنى إلى حد ما بحياتى عندما كنت مع والده أيام إدمانه للكحوليات . فلم أكن أعرف ما يقال وما لا يقال . والآن يتصرف ابنى مثل والده ، حتى على الرغم من أنه ليس مدمناً للكحوليات " .

وتتمنى " أرلين " ألا يبدأ ابنها فى الرد بوقاحة ، فهى ترغب فى البقاء مع الطفل أطول فترة ممكنة .

ولكن لماذا يبدى أبناء مدمنى الكحوليات مثل هذه الحاجة للسيطرة ؟ لأن السيطرة هى كل ما يعرفونه تقريباً . فمدمن الكحوليات يتحكم فى حياة أبنائه لفترات طويلة من خلال قراراته بتناول الخمور فى مناسبات مثل أعياد الميلاد ، والتخرج ، ومناسبات مهمة أخرى تكون رزانة العقل مطلوبة فيها بشدة . كما أن مدمن الكحوليات يتحكم فى شعور أفراد العائلة من خلال اعتداء لفظى ، وبدنى . وبلا وعى ،

يتعلم الطفل السيطرة . وحتى إذا توقف الوالد المدمن عن الشراب أو ترك العائلة ، فإن رغبة الطفل فى السيطرة تستمر دائماً تقريباً ، إلى أن يدرك وجودها ويحصل على بعض المساعدة .

كما أن هناك أسباباً أخرى لإظهار أبناء مدمنى الكحوليات للسيطرة ، ولكنها ليست دائرة اهتمام هذا الكتاب . ولكن من السهل أن ترى كيف يندفع الرد الوقح الجارح من أفواه أطفالنا الأوفياء المخلصين ، وهذا إذا نشأوا فى عائلة بها أحد الآباء المدمنين للكحوليات .

لقد كان الهدف من هذا الفصل توضيح أن الأبناء الراشدين قد يردون رداً وقحاً ، وأن ردهم الوقح على وجه الخصوص جارح للمشاعر لأنهم بالغون وتستحق صداقتهم مع آبائهم الكثير جداً ، وخاصة بعد كل هذه السنوات من الرعاية ، وأن تطبيق العقوبات عادة ما يتضمن الابتعاد ـ والذى يأمل الفرد أن يكون مؤقتاً ـ عن حياة الأبناء . ولا تجدى العقوبات الأخرى ـ كالامتناع عن القيادة بهم إلى منزل أحد الأصدقاء ـ فى هذه المرحلة من حياة الأطفال .

كما أن الابتعاد غالباً ما يفيد الوالد أيضاً ، فإنه يمكنه من أن يدرك أنه يجب أن يحقق حياته بعيداً عن أبنائه الراشدين إذا لم يكن لديه حياة خاصة به بالفعل . ولكن هل سيستجيب الابن لهذه العقوبات ويتوقف عن الرد الوقح ؟ والجواب أنه ما لم يقم الوالد بفعل شىء لابنه يصعب على الابن نسيانه وهو فى سنوات عمره الأولى ، فالإجابة هى " نعم " دائماً تقريباً .

١٣
وسائل المساعدة

إذا لم تكن تعيش فى أقل المناطق سكاناً ، فإن العثور على إحدى جماعات تربية الأطفال أمر سهل نسبياً . قم بمراجعة صفحات أصحاب الأعمال فى دفتر أرقام هاتفك المحلى ، وابحث تحت عنوان " التربية " أو " الخدمات الاجتماعية والإنسانية " ، لتعثر على ما تريد . وقد تكتشف أن المدينة التى تعيش فيها ليس بها صحيفة خاصة بتربية الأطفال فقط (مدينتنا بها اثنتان) ولكن بها مركزاً خاصاً يوفر حلقات دراسية لتربية الأطفال . كما يمكنك أيضاً الاتصال بإدارات المدارس المحلية ، ومتاجر اللعب ، وملابس الأطفال ، وكذلك دور العبادة .

وسوف تستفيد استفادة عظيمة من الانضمام لواحدة من جماعات تربية الأطفال التى تشاركك الأفكار التى تعلمتها فى هذا الكتاب . ولكى تكتشف إذا ما كانت تلك الجماعة ستجدى معك ، فقم بسؤال رئيسها سؤالين :

١. هل تعتمد الجماعة على مبادئ " الفريد أدلر " و " رودلف درايكورز " ؟
٢. هل هى جماعة تقوم على أساس ما يسمى : (تدريب منهجى للتربية الفعالة) .

وإذا أجاب رئيس الجماعة بالنفيٍ على هذين السؤالين ولكنه أكد لك أن جماعته " سوف تفيدك كثيراً " ، فالتحق بها على مسئوليته . وربما تفيدك إذا كانت تلك الجماعة تشاركك فى تصوراتك عن الرد الوقح . وإذا لم تكن كذلك ، فإن هذه الجماعة سرعان ما تضعف من عزيمتك للتغلب على الرد الوقح . إذا انضممت للجماعة الخطأ ، قد تبدأ فى الشعور بما يلى :

الشك : حيث تتساءل هل ينبغى عليك حقاً أن تحاول تغيير التعبير اللفظى الطبيعى لطفلك ؟ إنه فقط يحاول التواصل معك .

الخوف : تخشى أنه من الممكن أن يتسبب تطبيق العقوبات فى أن يتصرف طفلك بطرق مدمرة للذات بشكل قوى .

الحيرة : حيث ترغب باستمرار فى أن تقول لأعضاء الجماعة : " انتظروا دقيقة ، عندما أقول إننى أرد على السلوك السيىء للطفل تقولون إننى متبلد الشعور تجاهه ، وعندما أقول إننى أسمح لطفلى بأن يتصرف كما يحلو له ، تقولون إننى لأوجهه بشكل كاف . وأنا فى حيرة من أمرى ! " ولكنك لن تتكلم بهذا لأنك ترغب فى استحسان أعضاء الجماعة .

الاضطراب : سيقول أعضاء الجماعة من ذوى الشخصيات المسيطرة إن أطفالهم لا يردون رداً وقحاً مطلقاً ، وإذا كان أطفالك يردون رداً وقحاً ، فإنه لابد أن بهم نقصاً ما . فلا تشعر بالأمان بشأن مقدرتك على إنجاب ذرية تبعث على الرضا ، فما بالك بتربيتهم .

الإشفاق على الذات : وينقضى معظم الوقت فى هذه المجموعة فى العويل بسبب الأشياء التى يفعلها الأطفال التى تجرح مشاعر الآباء ، وتنضم على الفور إلى من ينتحبون ، وتشكو بصخب وبتفصيل أكثر من أى شخص آخر . إلا أنه وبعد عدد قليل من الجلسات ، تبدأ فى تصديق شكواك ، وتشعر أنك مخدوع بها بطريقة لم تشعر بها مطلقا من قبل .

وجميع هذه المشاعر تكون نتيجة سبب رئيسى واحد فقط وهو أن الجماعة تفتقر إلى اتجاه فلسفى قوى ، ولذا فإنها تتأثر كثيراً بمعتقدات أقوى الأعضاء المسيطرين فيها . وحيث إنه نادراً ما يكون هؤلاء الأعضاء متخصصين ، فإنه من الممكن أن تتغير معتقداتهم تغير الريح ، على حسب من يتحدثون إليه ، أو ما يقرءونه ، أو ما يرونه فى التلفاز . وعندما يتغيرون فإنهم غالباً ما ينكرون المعتقد السابق . فقد يصر أحد الأعضاء على قول : " بالطبع كنت دائماً تقدمياً مع أطفالى " . متناسياً تماماً ـ أو ليس لديه الرغبة فى أن يتذكر ـ أنه كان يفرض نظاماً تأديبياً صارماً منذ يومين فقط .

فالجماعات التى تلتزم بفلسفة معينة يمكنها مع ذلك أن تكون مرنة ، ولكنها تستخدم تلك الفلسفة كإطار عمل تستطيع من خلاله فحص مشاكل أعضائها . فعلى سبيل المثال ، تتضمن فلسفة " أدلر " فكرة أن السلوك المهذب مهم جداً فى العائلات . ولذا فإنه يتم فحص الرد الوقح من هذا الإطار حيث لا يعد أمراً مهذباً .

ولكن إذا تم فحص ذلك السلوك من خلال إطار التعبير عن الذات الذى عبر عنه المعلم " إيه . إس . نيل " ، فإن الرد الوقح سيبدو مظهراً إبداعياً ، ومثيراً ، ومفعماً بالحيوية ، وظاهرة صحية . وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نتفق مع هذا الإطار ، إلا أننا متأكدون أنك ستجد مصادر وخبراء يتفقون معه ، ولكن ينبغى أن تقرر إذا كانت هذه الطريقة هى ما تريده بالفعل .

تحديد فلسفة إحدى الجماعات

إذا كانت إحدى الجماعات لا تعتنق فلسفة يمكن تمييزها أو إطار عمل نظرى ، فإنها قد توضح أفكارها السائدة فى شكل إجابات عن أسئلة معينة . فلا تتردد فى أن تسأل رئيس الجماعة أو أعضاءها عما تريد معرفته . على سبيل المثال :

- اسألهم صراحة عن شعورهم تجاه الرد الوقح . وكن حذراً إذا نظر بعضهم إلى بعض ، أو تردد فى الإجابة كما لو كان الموضوع غريباً عليهم . وكن حذراً أيضاً إذا قال رئيسهم شيئاً من قبيل : " حسناً هذا يعتمد على الطفل وعلى الظروف المحيطة به " .
- اسألهم عما إذا كانوا يتغاضون عن الضرب ، وإذا حصلت على إجابة من قبيل : " هذا حسب الظروف " ، فإنه يمكنك أن تتأكد أن هذه الجماعة لا تعتنق فلسفة " أدلر " و " درايكورز " .
- اسألهم عن كتب تربية الأطفال التى يوصون بها ، وإذا لم يذكروا شيئاً بعينه ، فاعلم أن هذه الجماعة ليس لديها هدف فلسفى معين . وإذا كانت الكتب التي ينصحون بها تطابق الأفكار السابقة ، فلتتأكد تماماً أن أفكار هذه الجماعة ستتفق مع أفكارك .

وإذا كان لا يبدو أن الجماعة لا تتفق مع فلسفتك وأفكارك بشأن الرد الوقح ولكنها تتكون من أعضاء تفضلهم ، فإنك قد تحاول الانضمام للجماعة مع التزامك ببرنامجك . أشرك الآخرين فى التقدم الذى تحرزه باستخدام برنامج التعامل مع الرد الوقح ، فقد يستمتع الآخرون

بالمشاركة . ولكن تجنب محاولة تحويل أى أحد عن أفكاره ، فإنك لا ترغب أن يحاول أحد ذلك معك .

ابدأ بتكوين جماعة تربية خاصة بك

إذا لم يوجد جماعات لتربية الأطفال فى المنطقة التى تسكن فيها ، فحاول تكوين جماعة خاصة بك . قم بتحديد مكان للاجتماع (ويفضل أن يكون حجرة فى إحدى دور العبادة أو أى مكان عام آخر) ، ويوم للاجتماع ، وموعد له . ولا تنشر رقم هاتفك الشخصى فإنها ليست فكرة صائبة على الإطلاق أن تجعل رقم هاتفك الشخصى رقماً عاماً . ولكن إذا كان ممكناً ، فاستخدم هاتفاً لخدمة الرد رخيص الثمن ، أو هاتف عمل تعاونى .

وقم بانتقاء أحد الكتب من قائمة الكتب التى تبنى فلسفتك ليستخدمها الأعضاء كمصدر أساسى للمعلومات . ومن الممكن أن تركز الجماعة على موضوع واحد فقط ـ مثل الرد الوقح ـ أو على أى موضوع يرى أى عضو فى أى اجتماع أنه أكثر إلحاحاً . ولكن ينبغى أن تستخدم فلسفة هذا المصدر كمرشد فى المناقشة ، فينبغى أن يتم فحص المشكلة من خلال إطار فلسفة نص الكتاب .

وقم بلصق ملاحظات الاجتماع على لوحات الإعلانات بدور العبادة ، وفى كافيتريا المستشفى ، وقاعات استراحة المعلمين ، وفى المكتبات العامة ، ومكتبات الجامعة . وقم بإرسال الملاحظات إلى الصحف والمذياع ومحطات التلفاز التى تعرض إعلانات للخدمات العامة .

قم بإحضار بعض المشروبات البسيطة فى الاجتماع الأول ، وإذا لم يحضر أحد ، فقم بالإعداد لاجتماع آخر قبل أن يتملكك اليأس .

وهذا مثال لإعلان عن جماعة جديدة :

هل تهتم بالحديث عن تربية الأطفال ؟
يجرى الآن تكوين إحدى جماعات مناقشة التربية .
وسوف يعقد الاجتماع الأول .
من العاشرة صباحاً وحتى الحادية عشرة صباحاً .
من يوم الخميس الثالث من يناير فى قاعة الاجتماعات رقم ٢ ـ أ فى مكتبة " ميدفال " العامة .
الكتاب المرجعى (المصدر) : " تربية دون بكاء "
(Discipline without tears)
من تأليف " درايكورز " و " كاسل "
وهو متوفر بالمكتبة .
ولن يتم تقديم خدمة الرعاية بالطفل .
وسوف يتم تقديم المشروبات الخفيفة .
فبرجاء الحضور ، يسرنا مقابلتك .

وقد تغريك فكرة إخبار الآباء بأن بمقدورهم إحضار الأطفال إلى الاجتماع ، ولكنها ليست فكرة جيدة ، فلن يستطيع الآباء التركيز وهم مع أطفالهم .

قم بتحديد مرحلة عمرية معينة للحديث بشأنها ، إذا كنت تفضل ذلك ، كأن تختار مرحلة ما قبل المدرسة ، أو مرحلة التعليم المتوسط ، أو مرحلة المراهقة .

وفى الاجتماع الأول ، قم بتقديم نفسك وتحدث عن سبب رغبتك فى تكوين جماعة ، والسبب فى اختيارك لكتاب معين كمصدر

للمعلومات ، وتحدث عن أهم قضية فى تربية الأطفال بالنسبة لك الآن وسبب أهميتها . ثم اطلب من الحضور أن يتطوعوا بذكر أسمائهم الأولى ، وأعمار أطفالهم ، وقضايا التربية التى يرغبون الحديث عنها ، وأية معلومات أخرى يرغبون فى ذكرها .

وفى هذه اللحظة يمكنك أن تسأل عما إذا كان أى شخص لديه مشكلة معينة ملحة . وبالطبع سيتطوع أحدهم بذكر واحدة ، ولكن ينبغى أن تكون مستعداً لأن تعرض أنت مشكلة بذاتك إذا لم يحدث ويتطوع أحد . ولا تغفل الأعضاء الأكثر هدوءاً ، فقد يكونون ببساطة بحاجة إلى تشجيع أكثر . وحاول تحديد موعد منتظم لاجتماع جماعتك وتأكد من أن يحصل كل فرد على فرصة للمشاركة .

وإذا رغبت الجماعة كلها فى التطرق إلى قضية الرد الوقح فسيكون هذا رائعاً . ويمكنك استخدام الكتاب الذى بين يديك كمصدر للمعلومات .

١٤

أسئلة للآباء حول الرد الوقح

عندما اكتشف الناس أننا نؤلف هذا الكتاب عن " الرد الوقح " كنا كثيراً جداً ما نُسأل أسئلة معينة حول الرد الوقح .

وقد قررنا أن نضع بعضاً من هذه الأسئلة وإجاباتنا عنها فى آخر فصل بالكتاب وإليكم طائفة منها :

لماذا يستخدم ابنى ـ الذى يبلغ سبعة أعوام من العمر ـ أسوأ أنواع الرد الوقح عندما أذهب للمرة الأولى لاصطحابه من مركز الرعاية اليومية إلى البيت بعد العمل طوال اليوم ؟ فما الذى أستطيع فعله حيال هذا الأمر ؟ ونحن مقتنعون جدا بهذا المركز ولا نستطيع فهم أى سبب لسلوكه هذا .

من المحتمل أن يكون ابنك قد تعلم الرد الوقح من أطفال آخرين لا يحاول آباؤهم إثناءهم عنه . وينبغى أن تواجه هذا النوع من الرد الوقح بنفس الطريقة التى تواجه بها أى نوع آخر منه . أخبر ابنك أن سلوكه غير مقبول ، وأنه فى هذه الحالة يستنزف طاقة ليست لديك بالفعل ، ونتيجة لذلك ، فإنك لن تفعل له أى شىء يتمناه منك . وقم باختيار إحدى العقوبات قبل أن تصطحبه بعد عودتك من العمل مرة أخرى . وعندما يبدأ فى الرد بوقاحة ، قم بتطبيق العقوبة وانسحب على الفور من النزاع معه . إذا كانت لديك عادة التوقف لتدعوه لتناول طعام ، أو شراب أثناء العودة ، فإن عدم التوقف قد يكون عقوبة رائعة . وهكذا توقف عن عمل أى شىء معتاد على فعله له أثناء العودة كل يوم . كما يمكنك التفكير فى عقوبات أخرى ، وسوف تمنحك قراءة هذا الكتاب وخصوصاً الفصلين السابع ، والثامن المزيد من الأفكار .

يمطرنا طفلنا ـ الذى يبلغ عشرة أعوام من العمر ـ بوابل من الرد الوقح البغيض جداً عندما نبعد عنه لعبة الفيديو الخاصة به . إنه سيئ جداً ولذا فإننى أتركه يستمر فى اللعب بعد الوقت المسموح له . فما الذى ينبغى علىّ فعله ؟

قم بتذكيره بأنه قد اتفق معك على اللعب لمدة معينة ، وأخبره بأنه بسبب سلوكه غير المقبول ونتيجة لاستمراره فى لعب ألعاب الفيديو ، فإنه لن يتمكن من اللعب بها طوال اليوم التالى ، وقم بتطبيق تلك العقوبة فى اليوم التالى وانسحب من النزاع الذى لابد أن يتبع ذلك . وبعد هذا اليوم يستطيع لعب ألعاب الفيديو كالمعتاد ، وإذا حدث الرد الوقح مرة أخرى عندما يحين الوقت ليتوقف عن اللعب ، فلا تسمح له باللعب فى اليوم التالى .

زوجى متساهل جداً مع الأطفال . وأصبح ابنى وابنتى اللذان يبلغان تسعة أعوام واثنى عشر عاماً على الترتيب - بارعين فى الرد الوقح ويعتقد زوجى أنهما من الأذكياء ولا أستطيع فرض أية عقوبة عليهما لأنهما على يقين بأنه سيستسلم ويوافق على كل ما يريدان ، فهل هناك ما يمكننى فعله ؟

فى النهاية يكتشف الأطفال أن جميع الكبار لا يفكرون أو يتصرفون بنفس الطريقة ، وفى الواقع فإنه من الجيد بالنسبة لهم أن يروا أشخاصاً بالغين يعيشون معاً بسعادة حتى وإن لم يكونوا متفقين . اختارى وقتاً لمناقشة المشكلة مع زوجك ، كأن يكون موعداً لتناول العشاء بالخارج مثلاً . ثم اعترفى له باختلاف توجهاتكما . وأخبريه أن الأطفال يحتاجون ثباتاً على الموقف . وتفاوضى معه حول اتفاق عن الرد الوقح . وإذا لم يحترم هذا الاتفاق ، فقومى بتنفيذ برنامج كبح الرد الوقح الخاص بك . وأخبريه أنك ستساعدينه للتغلب على الرد الوقح عندما يقرر أنه لا يحبذه . وخلال هذا ، استمرى فى برنامج الخطوات الأربع الذى تعلمته فى هذا الكتاب ، وسرعان ما سيتأثر زوجك كثيراً بالمعاملة المهذبة التى يعاملك بها أطفالك مما يجعله يحاول التجربة . ولا تقلقى بشأن ما يتعامل بها بالغون آخرون مع الرد الوقح . وإذا لم يؤثر أى شىء من جهودك ، ولم يحترم زوجك اتفاقه معك ، فإنه قد يجدر بك البحث عن الاستشارة ، فقد يكون لديك مشكلة زوجية بالإضافة إلى مشكلة الرد الوقح .

ابنتى - التى تبلغ أربعة عشر عاماً من العمر - لديها طريقة تهكمية هادئة لتحقيق ما ترغب فيه تدفعنى للجنون . ويتكون أسلوبها من ابتسامات ، وضحك يدفعنا للشعور بالحمق ، والسخف ، والغباء الشديد ويؤدى بنا للاستسلام على الفور ونأمل

أن تغير رأيها فينا ، ولكن عندما أتحدث معها عن سلوكها ، تقول بأنها لم تكن تضحك أو تسخر منى ، ولا يوجد طريقة لأثبت بها ذلك . أرجو المساعدة !

لا يجب عليك إثبات أى شىء . فإنك تتعامل مع تهكم ، وسخرية وهى نوع من الرد الوقح غير المنطوق ويحدث بالفعل . أخبرها أن سلوكها يثير اشمئزازك ، وقم بتطبيق عقوبة معينة ، وتجاهل اتهاماتها الساخطة بأنك مصاب بجنون الاضطهاد ، وتبالغ فى رد الفعل ، وبذىء . وسرعان مما ستتعلم أن التهكم لا يؤثر معك !

لقد استخدمت برنامجك بنجاح . وتفكر طفلتى التى تبلغ أحد عشر عاماً من العمر ـ مرتين قبل أن تستخدم الرد الوقح معى الآن . وهى الآن بمجرد أن تفتح فمها لقول : " مهما يكن " ـ وهو أفضل رد لديها ـ تمنع نفسها من التلفظ به ؛ لأنها تعرف عقوبته التى تتمثل فى رفضى اصطحابها إلى المكان الذى تحتاج الذهاب إليه فى ذلك اليوم ـ وهى تحتاج إلى اصطحابها إلى مكان واحد على الأقل ـ وأحياناً عدة أماكن ـ كل يوم !

ومشكلتى هى أننى أريدها أن تعرف أن العقوبة تجدى معها ، وأريد أن أذكرها بها دون أن أضطر إلى تطبيقها . فأنا لا أحب هذا الاتجاه لدى على الإطلاق . فهل هذا أمر طبيعى ؟

نعم هى سمة طبيعية ، ولكنها واحدة من أقل السمات جذباً ـ فى الطبيعة البشرية ، والمتمثلة فى محاولة التذكير بالأشياء المغضبة على الدوام . وهذه طريقة من ممارسة الضغط على إنسان آخر . ولكنها لن تجدى فى برنامجك للرد الوقح ؛ لأنها تجعل الطفل يرغب فى الانتقام منك . فبدلاً من حمله على التفكير فى سلوكه الشخصى ليرى

كيف يستطيع تجنب عواقب غير مرغوب فيها ، لكن تكرار ذكرك لها يجعل طفلك يعتبرك كعدو يجب هزيمته ، لذا سيضطر للقتال ضدك مرة أخرى . وقد يبدأ في السلوك السيئ بطرق أخرى تتسبب فقط في شعورك بأنك لست قوياً كما تعتقد .

وهذا نوع للحوار الذى قد يحدث إذا ما استمررت فى الحديث عن نجاحك فى برنامج الرد الوقح مع ابنك :

الوالد : لاحظى ما تقولين أيتها السيدة الصغيرة . فهل تذكرين ما حدث فى آخر مرة قلت لى فيها : " مهما يكن " ؟ والمرة التى قبلها ؟ إننى سأفعل نفس الشىء مرة أخرى إذا ما نطقت بشىء لا أحبذه .

الابنة : (صامتة)

الوالد : ألا تسمعيننى ؟

الابنة : مهما يكن

الوالد : ماذا قلتِ ؟

الابنة : لقد سمعتنى . وأنا لا أهتم إذا لم تصطحبنى قط إلى أى مكان مرة أخرى . ومن الآن فصاعداً ، سأذهب إلى أى مكان بطريقتى !

وهنا ليس من الأفضل فقط أن تفعيل العقوبة دون النطق بأى شىء ، ولكنه ضرورى لنجاحك فى كبح الرد الوقح . فالتحدث عن العقوبة باستمرار يجعلها بمثابة عقاب .

وهذا البرنامج ليس خاصاً بعقاب محدد ، أو الأخذ بالثأر ، ولكنه يتعلق بعقوبات مناسبة لسلوك الأطفال . ولا يمكن تكرار هذا بشكل كاف : فالطفل الذى يعلم أن " السلوك أ " سيتسبب فى " العقوبة ب " ، فإنه سيبدأ فى فهم ما يستطيع عمله للتحكم فى سلوكه . وبلا

شك سيكون لهذا الضبط للذات من جانب الابن نتيجة وهى الاستمتاع بحياة أكثر سعادة ونفعاً للوالد والطفل .

إننى مخطوبة لرجل أرمل له أربع فتيات فى سن الجامعة . وقد حضرن جميعا إلى المنزل لحضور حفل عيد ميلاد والدهن ، وكن مبتهجات عندما عرض عليهن دعوة لقضاء يوم فى " ديزنى لاند " . ولكن عندما ذهبنا إلى هناك ؛ أصبحت ابنته الصغرى " أريل " سيئة الطبع . وعندما توسل إليها والدها بألا تتمادى فى سلوكها ، قامت فقط بهز كتفيها فى لا مبالاة . وعندما اقترح علينا أن نبدأ اليوم بتناول الإفطارٍ قالت بنفس الطريقة غير المهذبة : " مهما يكن " . ثم قالت شيئا ما بنفسٍ الطريقة إلى أخواتها ، ولكننا لم نستطع سماعه ، وضحكن جميعا بهذه الطريقة الساخرة . فسألها والدها قائلاً : " أريل " ماذا قلتِ ؟

فردت ببراءة منكسرة " لا شىء ، لماذا تضايقنى ؟ " فتجاهل والدها ذلك الرد وحاول أن يتصرف كما لو كان كل شىء عل ما يرام . ولكن لم يكن الأمر كذلك . فيبدو أن تعليقات " أريل " أوحت إلى الفتيات الأخريات بأن يتصرفن بتهكم وأفسدن اليوم . وكنت أنا ووالدها بعد مرورنا بيوم عصيب نمسك بأعصابنا ونحاول أن نتصرف بشكل مبهج . فماذا كان ينبغى على الوالد أن يفعله ؟

كان ينبغى على الوالد أن يخبرهن أن هذا النوع من الكلام لا يريحه ، ولذا فإنكن ستذهبن بمفردكن . وعندئذ يكون هذا ما ينبغى عليكن فعله بالضبط . فبمقدوركن الاهتمام بأنفسكن ومعرفة طريق العودة للمنزل .

كانت إحدى صديقاتى التى لم أرها منذ خمسة عشر عاماً تتجول فى المتجر مع حفيدتها التى تبلغ من العمر ثلاثة أعوام . وقد سرت كل منا برؤية الأخرى . وقد قالت هذه السيدة إن أبناءها الثلاثة أصبحوا فى ذلك الحين ناضجين ، وتزوجوا ، وكانوا ناجحين جداً . وقد سعدت عندما سمعت ذلك لأنهم كانوا أطفالاً مؤدبين ، ومهذبين جداً .

وبعد ذلك وأثناء حديثنا بدأت الحفيدة فى البكاء . وقالت بطريقة عنيفة : " هيا يا جدتى ! أريد بعض الحلوى ! "

فتوقفت السيدة عن الحديث معى وقالت للطفلة بقسوة : " إننى أتحدث ! " ثم عادت للحوار معى متجاهلة توسل الطفلة إليها . فهل ما فعلته تصرف جيد ؟

بالطبع ، فهى لم تستسلم لطلبات الطفلة ، وقد افترضت أن بمقدور الطفلة أن تتغلب على العقوبة التى قامت بتطبيقها والتى كانت صرف انتباهها (حتى وإن لم يكن جسدياً ، وهو أمر لا تستطيع أن تفعله فى مكان عام مع طفل فى مثل هذه السن) عن الطفلة . وهذا الافتراض يوضح احترام قدرات الطفل ويسمح فى نفس الوقت بتطبيق العقوبة . ولا عجب فى أن أبناء هذه السيدة كانوا مهذبين جداً تجاه الآخرين !